نحن ...
وأسماء اللّه الحسنى



د. سرور قاروني

الطبعة الأولى ٢٠١٢

الكتاب : نحن وأسماء الله الحسنى

تأليف : د .سرور قاروني

soroorqarooni@hotmail.com

مملكة البحرين

٢٠١١

ISBN 978-99901-712-1-1

رقم الإيداع في المكتبات العامة: د.ع8856\2010م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إهداء...

إلى كلّ من يسعى لإحياء ذكر الله في القلوب المثقلة...

إلى كلّ من يعمل لتحفيز الناس على المحبّة والرحمة والسلام...

وإلى كلّ من نذر وجوده لبشائر الخير والعطاء ورقي الإنسان...

نحن وأسماء الله الحسنى...

أسماء الله الحسنى هي مصدر إلهاماتٍ لا متناهية في ميادين مختلفة، هي المحرّك للوجود الحقّ، أُلهمناها لتُساعدنا في معرفة خالقنا، والتقرّب إليه، والتخلّق بما يُحبّ ويرضى، وإظهارها لنا من أجمل النعم التي أنعم الله تعالى بها على خلقه، فمعرفة لقبسِ اسمٍ من تلك الأسماء، وتعمّقٌ بمعنى من معانيه، هو شهدُ غذاءٍ وشفاءٍ للإنسان، ومن خلاله يستطيع استشعار وجوده الإنساني الروحانيّ، والتقرّب خطوة لارتشاف جرعة من بلسم قوله تعالى **(فَإِنّي قَرِيبٌ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي، لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ).**

يحاول هذا الكتاب أن يستلهم من بعض أسماء الله الحسنى طرقاً وجدانيّة ملامسة، وعمليّة ملموسة، لتمكين أو تحفيز إنساننا أن يطوّر من سلوكه والطريقة التي ينظر بها لنفسه وإلى الحياة وأحداثها، بشكل يُساهم في جعله إنساناً أقرب إلى الفطرة النقيّة، التي فطر الله الناس عليها، وأن يخرج من تمحوره حول ذاته، وأن يُدخل الآخرين في دائرة اهتمامه، ليرقى هو إنسانياً، ويُساهم في رقي الآخرين أيضاً.

إيماناً، بأنّه لو أعطى الإنسانُ نفسه حقّها كمرآةٍ لتجلّي نور الله وأسمائه، وعمل على أن يربط فكره وقلبه، ونواياه وعمله، بخالقه الحبيب، لتذوّق حقيقة معنى السلام والسعادة والانشراح... التي هي مقتضيات وفيوض ورشحات الأسماء العليّة الحسنى.

فهرس

الله

منذ أن كان الخفّاش صغيراً

وهو يستمع كلّ ليلة لحكايات أساطير جدّته

فهي تكلّمه عن ذلك العالم الذي به نور

يسطع من شيء يسمى شمس

وأنّ هناك الكثير من الذين يحبّون النور ولا يفارقونه

ومنهم غبيّة تسمى فراشة... تدنو من أيّ ضوء... وتحرق نفسها بلهب شمعة

وتختم أسطورتها بأن الخفافيش أذكى المخلوقات إطلاقاً

فهي لا تحب النور ولا تراه

كبر الخفاش وهو يعرف أنّ قبيلته لا تتحرك إلا ليلاً

ولا تأبه بالنور... بل تخافه وتهابه وتبتعد عنه

ولكن قلبه لم يكن كباقي رفاقه

فكلّ ليلة يحلم بالنور ويتخيّله

حتى أصبحت جميع الخفافيش تهزأ به وبجنونه

فأساطير جدّته لم تفلح في تخويفه كما فعلت مع أجيال الخفافيش السابقة

ولكنّها حفزّت به حب ذلك الشيء... الذي لا يعرف كيف يحصل عليه

وأمضى عمره يبحث عن شيء... أيّ شيء

يستطيع أن يستدل به على النور ومكانه

ولم يعرف بأن النور قريب... خارج كهفه

فلو غيّر نظامه وخرج من كهفه وتحرّك... لالتقى بالنور والضياء

دون الحاجة لشيء يستدل به... ولا لمن يدلّه عليه

فلا تكن كالذي يمسك شمعة يبحث بها عن نور الشمس في وضح النهار

فيقول إنّه يبحث عن الله... والله أقرب إليه من حبل الوريد

يغرق نفسه بكتب وأوراق ليتعرف على أثر للخالق

وكلّ وردة وشجرة وحشرة تحكي قصصاً عن صنع البديع فيها

يؤمن أنّ سنن الرحمن لا يعرفها إلا مَن غرق في علوم تعلّمها

ونفخة الله فيه لها حديث لا ينتهي من سنن الحق في الكون بأوسعه

يمضي عمره يبحث عن حبّ ضائع يحرّك مشاعره

والكريم ورسوله يحبونه حبّاً تعجز أشدّ أم حناناً عن تصوّره

يشقى لكي يمتلك ما يُفرح قلبه حين يراه

وأصداف بحار العالم خلقها الرحمن له ليتأمّلها ويمتّع بها ناظره

يبحث عن أمل في حياته بين أكوام اليأس والإحباط

ومعجزة الأمل تتكرر كلّ يوم أمامه مع ولادة طفل وابتسامة آخر

يبحث عن شعور رضا عن نفسه في عيون الآخرين وتقديرهم

والرضا ينبوع صاف يتفجر في قلبه حين يعمل ما يُرضي العزيز

تدمع عيناه حزناً وبؤساً حين تضيق به الدنيا

والرؤوف لا يغلق باباً بحكمة حتى يفتح أبواباً برحمة ورأفة

فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ

وكلّ ما تسمع وترى وتشعر... به رسالة من الحكيم العليم

فافتح قلبك وعينيك... لتسمع وترى عجباً

وتستشعر أنَّ اللطيف العزيز معك... في لحظاتك وأيامك

تنير دربك بنوره... وتعطّر كلماتك بذكره

وتدعو الناس لكي يصغوا ويسمعوا

جمال صوت الحق في أنفسهم وفي الآفاق

فتسمو أرواحهم... وترتفع نفوسهم... وتعلو هممهم

الرحمن

حين يمتحنك شخص أو جهة

ليمنحك وظيفة... شهادة... أو حتى وجاهة

فإنَّه يعطيك فرصة واحدة

وإن أشفق عليك... قد يعطيك اثنتين

ويضع عليك حارساً

ليتأكد أنَّك لا تقتبس جواباً من غير نفسك

والرحمن خلقك... وجعل الدنيا دار امتحان لك

لتختبر نفسك... ومن ثمَّ تقدم ورقتك

ليعطيك قرباً... وجنة خالدة... وسلاماً أبدياً

والرحمن لرحمته

يعطيك ورقة امتحانك

ويعيدها إليك في الصباح التالي

صباحاً بعد صباح... حتى تفارق الدنيا

لكي تعدِّلَ عليها... وتصحح فيها

ويسمح لك أن تتعرف على الجواب بأي شكل تريد

ومن أي مكان تريد

وأن تسأل من تريد

وأن تأخذ معك في الامتحان من تريد

وتفتح أي كتاب تريد

بل ويعطيك درجات على ذلك أيضاً

ومن جانب آخر... يكتب لك في تلك الورقة إشارات تدلّك على الأجوبة

وإن تجاهلتها... يعطيك إشارات عن أماكن الأجوبة

ويضع في طريقك أولئك الذين يودّون مساعدتك

ويفرحون لنجاحك... بل ويعتبرونه جزءًا من نجاحهم

فيساعدونك في أن تحصل على الأجوبة

بل وتتخطاها

وتذهب إلى أبعد منها

لتجيب عن أسئلة اختيارية... لست مجبراً على إجابتها

ولكنَّها تعطيك درجات أعلى... ومقامات أرفع

ويرق قلبك على أولئك الذين احتاروا في امتحانهم

أو أجابوا إجابات خاطئة

لتكون أنت من يعينهم

وتكتب نجاحاتهم في ورقة امتحانك أيضاً

لأنَّها جزء من الأسئلة الصعبة في ورقتك

أن كيف تجعل من تفوّق غيرك سعادة لك؟

وكيف تستطيع أن تضع بصمتك في ورقة كل من هو في حياتك؟

ليستلهم منك شيئاً يضيفه إلى إجاباته... الأساسية منها والاختيارية

فتعيش كل يوم نشوة النجاح

وتتيقن بأنَّ الأمل حقيقة ساطعة

وأنَّ التمحور حول الذات يمنعك من فهم الأسئلة

واليأس إجابة خاطئة لأي سؤال

وتعرف أنَّك إنسان مؤثّر

فتتعمق ثقتك بنفسك

ويلهج قلبك بشكر الخالق... وتقدير الحياة

فتستطيع أن تستخرج معنى من كل وردة وشوكة

وتعرف أنَّك جزء من ألحان الطيور وكلماتها

وقد تكون هي أيضاً من ضمن إجاباتك

الرحيم

في زيارة له لصديقه

جلسا يتسامران ويتحدثان ويضحكان كما كلّ مرّة

ومع أنّ صديقه لم يبد أي ضيق في لحن صوت أو كلمة

إلّا أنّه لمح حزنًا خفيًا في عينيه

وأنينًا في تقاسيم وجهه

لم يشأ أن يكسر صديقه ويسأله عن حزنه

فسأل عن أحواله علّه يُدرك شيئاً

وعرف أن ابنته ستتزوج قريباً

وفي ثنايا الحديث... قال مشاركاً صديقه وليس مطالباً أو شاكياً

بأنّه لا يمتلك الحدّ الأدنى ليقوم بدوره لزواجها

فكان يتمنى أن تخرج ابنته من بيته وهو كريم معها

فهو يعتقد أنّ هذا سيجعل زوجها كريماً معها أيضاً

احتار ماذا يفعل مع صاحبه

فمع أن المال المطلوب قليل... ولكن ما يعنيه بالنسبة له كبير

فهو يعرفه جيداً

لن يطلب مالاً من أحد... ولن يقبل صدقة ولا معروفاً

فقال له...

تعلم أنّي أعمل على ادّخار مبلغٍ لأُدخل ابني جامعة جيدة

ولكنّه لا يزال صغيراً

وبقي لذلك الحين سبع سنوات على الأقل

فما رأيك أن أقرضك هذا المبلغ قرضاً حسناً،

وترجعه حسب استطاعتك قبل موعد الجامعة؟

فقبل صديقه بعد تردّد

ذهب الرجل واقترض مبلغاً

دون أن يعلم بذلك أحد

أكمل به المبلغ اليسير الذي كان قد ادّخره لابنه

فصار يكفي لكي يشعر صديقه بأنّه أبّ كما يحب أن يكون

لم يستطع أن ينام الليل شوقاً لبزوغ شمس الصباح

فكانت تلك أكثر ليلة يدقّ قلبه شوقاً للحياة

ليذهب بالمال إلى صديقه

ويرى بريق الفرح في عينيه

بأنّه يستطيع الآن أن يقوم بدوره ويفرح قلب ابنته

دون منّ أو أذى

ودون خجل أو كسر لصورته أمام نفسه وأهله

وأهم من ذلك... دون أن يشعر أنّه أثقلَ على أحد ولو كان صديقه

فأخذ منه المال مبتسماً شاكراً

ولله الرؤوف الكريم ممتنّاً

وأما هو...

فقد فُتح في قلبه باب آخر من معنى الرحيم

استشعر ترنيمة في قلبه تناغمت مع روحه

فهذا ديدنه...

يبحث دائماً عن ابتسامة ضائعة في حياة أحد

ويعمل على رسمها معهم

فهدفه في الحياة هو أن يربط نفسه باسم الرحيم

بحبل من ورود أرجوانية عطرة معطرّة

فكلّ عمل يقوم به يضيف لهذا الحبل وردة

وكلّ وردة تضيف قوّة ومتانة

وكلّ قوة ومتانة تضيف له إنسانية وسمواً

ولأنه أخذ شعاعاً من اسم الرحيم... فهو لا ينسى الآخرين

يعمل على تعليم الناس كل ما يتعلق بجمال الرحيم

ويلهمهم كيف يربطون أنفسهم بورود بذلك الاسم أيضاً

لتصبح خيوطاً من الورود في كلّ مكان

الملك

ينام الطفل الصغير... نومًا عميقًا

حتى حين يكبر... يَحِنُّ إلى ذلك النوم

الذي لا ينغّصه شيء

فهو يعرف أنَّه في مأمن

أمه مستيقظة... تحرسه وتؤمّنه

تفهم ما يَقصر عقله عنه

تدَّبر ما لا يخطر بباله

وتعرف ما لا يعرف

هو المحتاج لها في كلّ شيء... وهي الغنيّة عنه في كلّ شيء

يعرف أنَّه لا يملك شيئًا... ولكنَّه بها يملك كلَّ شيء

فلو استطعنا أن نعيش ذلك الشعور

مع مالك المُلك

ديَّان الدين... ربّ العالمين

لأصبحنا كقطرة الماء

صغيرة ضعيفة... ولكنَّها تحتمي بقوة البحر

فلا تعد ضعيفة...ولا صغيرة

ترى كنوز البحر مُلكها... وحرارة الشمس تُكَلّمها

وتتناغم مع الأمواج...ولو تلاطمت

فتشعر بالأمان

لنتشبث بالعظيم

فالخليل رأى الكوكب... فالقمر... ثم الشمس

وتركها بعد أن ظنَّها ربّا... لأنَّها آفلة

والإنسان بفطرته... لا يحب الآفلين

ولكنَّه قد يعيش حياته كلَّها... يلهث للحصول على الآفلين

فانظر لما تُفدي نفسك من أجله... وتضع قلبك فيه

وتهبه وقتك... وأعزّ ما عندك

وتأكّد من أن يكون ذلك

حبَّاً وعملاً... خالصاً

دون شوائب

لذلك المَلِك الذي لا يأفل

بيده ملكوت كلّ شيء

الغني الحميد

القُدُّوس

تأخذ طفلاً إلى مصنعٍ كبير

يتأمل حجم المكان

وحركة الآلات وضجيجها

وينظر إلى خرائط التصاميم الهندسية

ينبهر بها...

يرى نفسه صغيرًا مقارنة بها

ولكنَّه لا يدرك معنى ما يرى

فهو كما نحن

ننظر إلى الخَلْق والدنيا... السماء والأرض

ولكن...

لا نرى إلا بمقدار قطرة من محيط كبير

لأنَّنا نركِّز على ما نحتاج منها فقط

وفي ذلك أيضاً...

لا نحاول فهم عمقها...ولا كنهها

فكيف نفهم كُنه الله لننزِّهه و نُقدِّسه؟

وعقولنا ناقصة... ومداركنا قاصرة

وقلوبنا منشغلة

فهل للناقص أن يُدرك الكامل؟

ولكن...

هناك دائماً شعاع من نور

بأن نستشعر اسم القُدُّوس

ونفكِّر في معنى التنزيه

ونتعمَّق فيه

ونتأمَّلُ أنفسنا أيضًا

فحين نستشعر أنَّ القُدُّوس منزَّه عن الظُّلم...

نعمل لنَبعد نحن عن الظلم أيضاً

ونَعرِف قُبحه... وحكمة البعد عنه

وحين نستشعر تنزيه القُدُّوس عن الشريك... نذهب إلى دواخلنا

ونقرأ كتاب أنفسنا... ونرى إن كنّا نُشرك معه أحداً

ولو من طرف خفي... أو أخفى من الخفي

ونتذكر...

أن ثناء ذلك الطفل على المصنع... لا يعني شيئاً لصاحبه

لأنَّه لا يفهم ما يَثنِي عليه

فنحن أيضاً...

ليس لتقديسنا معنى... ... ما لم نفقه ما نقول

ولكي نَفقه... علينا أن نفكِّر

ولكي نُفكِّر... علينا أن نتأمل

ولكي نتأمل... علينا أن نلاحظ

ولكي نلاحظ... علينا أن نركّز بأن نُفرغ قلوبنا عمّا سواه

ولكي نفرغ قلوبنا عمّا سواه...علينا أن نضعه أولوية في حياتنا

ولكي نضعه أولوية في حياتنا... علينا أن نُقلِّص أنانيتنا

ولكي نقلّص أنانيتنا... علينا أن نستشعر عظمته

ولكي نستشعر عظمته... علينا أن نفقه

وهكذا... ندخل في دائرة جميلة

تغذي بعضها بعضًا

تكبر وتكبر... حتى تحتوينا

وتتسع العالم... بل والأكوان

حينها... في كل لحظة

سيعرف قلبنا جانباً مختلفاً للتنزيه

فيقول... سبحانك يا قُدُّوس

فتسمع النجوم ذلك الصوت... وتردده هي في الأصداء

بلا توقف... إلى يوم الدّين

السلام

حين تلتف خيوط أفكارنا ببعض

وتنسج العناكب بيوتاً في عقولنا

وتتصل خيوطها معاً وتتشابك

وتختلط الّأصوات بداخلنا... بين صراخ وصمت وضحكات

لا نستطيع أن نعرف مصدرها ومغزاها

وتسلسل أفكارنا يأخذنا من قبيح إلى أقبح

ونجتهد لنبحث عن مواطن القبح في كلّ صورة جميلة تتشكل في أذهاننا

عندها... يقف طائر قلوبنا حائراً عاجزاً

ينظر إلينا بعيون متوسلة دامعة

يطلب منّا أن نكفّ عن قصّ ريشه... بالحقد والانتقام

أو نزعها من الجذور... باليأس والإحباط

أو إذابتها... بفطريات الشفقة على النفس والكسل

أو قرضها... بديدان الكره والغرور

لأنَّه يريد أن يحلق ويطير

فذلك الطائر الملوّن الجميل

الذي يغني ليل نهار... بنغمات الحبّ الأبدي

للجميل السرمدي

لن يهدأ إلا إذا حطَّ على ساحل بحر السلام

فهو آت من هناك

ذلك الساحل الذي بحره رحمة لا متناهية

وأصدافه خليط جميل من الانشراح والإبداع

ورماله حبيبات حبّ وتقدير لكلّ مخلوقات الرحمن

فحين يحطّ طائر قلوبنا على ذلك الساحل

تتسع أرواحنا بسعة الكون

وتتجلى أجمل مشاعرنا كبلور صاف

وتبتسم قلوبنا مع الشمس والقمر والمطر

ونفهم مغزى الأحداث وحكمتها

ونتكلم بمفردات تحمل روحاً وحياة

ونستنشق نسيم حبّ الجليل... وحبّ ما يحب الجميل

فلنتفقّد هذا الطائر

كلّ يوم وكلّ ساعة... بل وكلّ لحظة

ونعطيه حُبّاً وقُبلة

ونداويه ببلسم التوبة والخشوع

ونغسله بماء حسن الظن بالعلي القدير

لنحلّ على ذلك الشاطئ البديع

فكلّنا نستحق ذلك...

وأنت أيضاً

المؤمن

جهّزت طيور الكركي نفسها للهجرة

ومعهم صغير يهاجر لأول مرّة

ومنذ أن عرف بأنهم سيرحلون... لم يقرّ له قرار

أصبح متوتراً خائفاً

هل سنذهب مكاناً كنّا فيه من قبل؟

هل نعرف أحداً هناك؟

هل نحن واثقون بأنّنا سنلقى ما نأمل؟

وعشرات الأسئلة الأخرى التي وجّهها للطيور

ولم يسمع سوى النفي جواباً لكل منها

فازداد قلقه وخوفه... وقرّر أن يبقى ولا يُهاجر معهم

احتضنه كركيّ شيخ حكيم

وقال له... بأنّ قلوبنا آمنة إذا ما عملنا ما تُوحي لنا فطرتنا

لا نخالفها لكسل أو غفلة أو هوى

فعلينا أن نهاجر في الخريف ونرجع ديارنا في الربيع

وأن نطير بأشكال معينة

ونتبع من يقودنا بشكل متقن

ونغنّي أغنياتنا ونرقص رقصاتنا نحن... وليس غيرنا من الطيور ولو أعجبتنا

وأن نتّبع قوانيننا في الحراسة والحذر

ولا ننام إلا وأحدنا حارس علينا

قد يحمل حصاة حتى إن نعس سقطت فاستيقظنا جميعاً

ونبرّ بوالدينا حين يكبرون

وأن نكون عبرة لباقي الطيور في الخُلق الحسن

فتكون طباعنا وسلوكياتنا حسنة مع بعضنا... ومع غيرنا

فكل هذه جزء من القوانين التي علينا اتّباعها

هي محفورة بداخل كلّ منّا... وبداخلك أنت أيضاً

فنحن آمنون ما عملنا بها

فاتباع السنن الكونية هي السبيل للحياة

والخبير المؤمن هو من سنّها بعدله وحكمته ورحمته

فاتّباعها ليس كرماً وجوداً منّا... بل هي السبيل الوحيد للنجاة

فهذه السنن محفورة في فطرتنا

فنداء الفطرة يأخذنا إلى جادّة الانشراح الأبدي

والسعادة التي لا يشوبها حزن أو كدر

والله يحب لنا أن نكون في تلك الجادّة... وأن نصل لتلك السعادة

المهيمن

كان لنبي الله سليمان ما ليس لغيره

سُخُّرت له الريح عاصفة تجري بأمره

ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك

وأوتي علما قال معه الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين

وعُلّم منطق الطير وأوتي من كل شيء

فسمع النمل وكلّم الطير

وحُشرت له جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون

ومع كل سلطته عليهم... يبقى المهيمن هو الله الحق

فهو يعلم كل شيء عنهم... قوتهم وضعفهم

سرّهم وأخفى... وما في الصدور

يعرف خير كلّ منهم... وما يحتاجه ليصل وما يؤول إليه

له العلم والقدرة لأن يوصله لخير ما خُلق من أجله

وله الاستمرارية في كل ذلك

فلن ينقطع أبداً و لا يضعف... فهو المهيمن

ومع ذلك... أعطاك العزيز الحكيم القدرة للهيمنة على نفسك

تبدأ حين تحلّ ضيفاً على هذه الأرض

لتختار أي حياة تريد أن تعيش

وأي حياة تود أن تأخذ معك عندما ترحل

أهي سعادة أم شقاء؟... بؤس أم انشراح؟

فالنفس البائسة هنا تحمل بؤسها معها هناك

والنفس المطمئنة بأنَّ المهيمن على الكون كلّه هو الخلاق العليم... لا تشقَى

ولو ذاقت مرّ ويلات صعوبات الحياة

فهي تعلم بأنّه كلّه بعين الحي الذي لا تأخذه سنة ولا نوم

فكلّ ما هو مطلوب منك أن تمسك بزمام نفسك وتهيمن عليها

فتعرف دواخل نفسك وما خفي منها

ما يضرها وينفعها... وتعمل بناء على ذلك وتتصرف

وأن تستمر ولا تغفل... ما استطعت وما أمكنك

وإن غفلت أو نسيت... ترجع مرة أخرى

بقلب تائب منشرح... آملاً برحمة خالقه

لتصبح إنساناً... تتآخى مع روحك وتعيش معها بسلام

لا تقمعها ولا تقزّمها ولا تسحقها

فعندها... سترى قوّة في نفسك لم تعهدها

وسيطرة على أفكارك وحياتك لم تتخيلها

وأنَّك تستطيع أن تصنع من إرادتك جبلاً شامخاً

ومن كلّ ما يحصل لك زهرة فواحّة

حتى لو كان حدثاً أدمى قلبك ألماً

تستطيع أن تنهل منه ما يضيف لك حياة وجمالاً

وتبعث الحياة وتلهم الجمال... لكلّ من يرى تلك الزهرة ويتنسّم عبق عبيرها

وأنت تجسدّ في نفسك القوّة والصلابة والشموخ

فما أسماك من إنسان**!!**

العزيز

أتى القُمري إلى الدجاجة بخبر

عن ذلك العقاب الذي يعيش في أعالي الجبال

الذي بجبروته يسيطر على منطقة بأكملها

لا يغلبه أو يصل إليه أيّ من الطيور

بأسه شديد

قوته خارجة عن تخيل ذلك القُمري... وهو الذي يفهم معنى الطيران

فكيف بتلك الدجاجة التي لا تبرح تلازم الأرض... لاصقة بها؟

وكيف لها أن تفهم خطف العقاب لسمكة وهي في الماء تعوم؟

كلّ يوم تنتظر الدجاجة قدوم صديقها القُمري بشوق ولهفة

ليتحاورا معاً عن ذلك الطائر العزيز... صعب المنال

ويتمنون معاً لو أنّ لهم به صلة

أو أن يطوف على سمائهم فيرمقهم بنظرة منه

أو ربما تسقط ريشة منه بالقرب من عشّهم الصغير

ليجعلوها نصب عين أجيالهم

يتعلمون منها العلو والهمّة

كثير من القلوب هي كما ذلك القُمري... وكما تلك الدجاجة

ترى عزّة في زائل مثلها

تصنع منه أساطير في كلماتها وخيالها

ثم تبقى تنتظر... علَّها تحظى بنظرة منه

فهي لا تفقه أنَّها لا تفقه... ولا تعرف ما تفقد

ومع ذلك... هناك قلوب دائمة التأمل في العزيز

هي في حيرة من إدراك كُنهه وعظمته

الذي ظلَّت العقول في بحار نعمة من نعمائه

وكلَّت الألسن عن وصف اسم من أسمائه

وعجزت القلوب عن فهم مسحة من جماله

وحارت الأذهان عن تصور ألاً من آلائه

هي تعرف أنَّها وُجدت بلطف الحق وكرمه

وأن لا وجود لها دونه

تحتاجه في كلّ شيء... وأيّ شيء

لا غنى لها عنه طرفة عين

تنتعش بذكره كلَّما ارتعدت فرائصها من غُربة روحها

وتبقى تترنم وتتأمل...

الجبَّار

انظر إلى موضع قدميك

هل تقف على أرض صلبة

رمال متحركة... أو تسبح في بحر؟

ففي أي وضع تكون...

تدور قدماك مع دوران الأرض... مع دوران المجرَّة

وأنت معها

تحكمك جاذبية الأرض

ولن تستطيع أن تصمد طويلاً دون ماء... ولا حتى لحظات دون هواء

وسيأتيك الأجل... لا محالة

رضيت أم لم ترض... أحببت أم لم تحب

فهمت أم لم تفهم

هي كذلك... أنت مُجبرٌ عليها

لا مفر لك منها

تتحكم بك... لأنّها سُنن الجبَّار

تمضي بمشيئته... ولا شيء غير مشيئته

فهي لا تأبه بما تُفكِّر أنت... ولا بما تعتقد

وأكثر من ذلك...

فهي تحملّك عواقب مخالفتك لها... لتدفع الثمن

حتى لو كان ذلك الثمن هو حياتك

فالأجدر بك أن تتناسق مع تلك السُنن

تدرك قليلاً من سعتها وعُمقها

لتأتيها طوعاً... وليس كَرهاً

لأنَّك لن تخرج من هذين الخيارين

فأنت مخلوق بها... ولا تستقيم إلا معها

ولن تستطيع أن تشعر بالسلام إلا حينما تنسجم معها

فكِّر في تلك السُنن... كلّ يوم

بل وكل ساعة...

فكّر في أن تعيش الفضيلة وتجعلها جزءًا من حياتك

وتمشي مستقيمًا على ذات الخط مع فطرتك

وأن لا تكذب... ولا حتى على نفسك

ولا تخلف عهداً... ولو لطفل لا يفقه قولك

ولا تكسر قلباً... حتى لو كُسِرَ قلبك

فهذه أيضاً... لها سُنن كونيّة

تُدمِّرك من حيث لا تشعر

تمامًا... كالذي يموت من دخان غاز مكتوم

لا يشعر بالموت يدنو منه... فيستسلم دون مقاومة

فنحن نَدنو من موت الحياة بداخلنا

مع كلّ سنَّة كونيّة نخالفها... أو نتجاهلها

وقد نصبح أمواتاً متحرّكين

وندعو الآخرين بصراخ صامت للانضمام إلينا

فلنعمل بقلب طائع ليَّن

لنرى الجمال في كلّ شيء... حتى في تلك السنن التي تبدو متجبّرة

لأنَّها كلّها من لدن جبّار..

لكنه هو أرحم الراحمين

المتكبّر

ليس من حقك أنت أن تتكبر

ولكنَّه يحق لجزء منك فقط... بل يجب عليه أن يتكبر

فتلك النفخة الربانية التي أودعت فينا

تستحق الكبرياء والتعالي

وعليها أن تتكبر... وتتعالى...

على كلّ كلمة ليس بها حرف من نور الله

وكلّ فعل لا يرتبط بخيط بما يريد الله

وكلّ علاقة ليس بها صلة مما يحب الله

وكلّ أكل أو نوم ليس به رائحة لاستمداد قوّة للعمل في طريق الله

وكلّ ابتسامة أو دمعة لم تخرج من عتمة ظلام النفس لتؤمن أنَّها بعين الله

فحين نسمح لهذه النفخة أن تتكبر فينا

سوف لن تكون ألوان الحياة كما هي الآن أبداً

وتتغير أماكن الأشياء ومعانيها

ويشعر الكسل فينا بالذل

وتعجز رغبتنا عن كسر القيم

ويموت إحساسنا بالعلو على خلق الله

ويجتمع الحسد والكره والحقد والجشع والطمع كله معاً في بوتقة

تذوب مع كلّ دعاء صادق... وعمل مخلص

ونية أَصيلة... تنبع من ماء عين تلك النفخة

حينها...

سنكون من أشدّ الخلق تواضعاً

ومن أكثرهم حكمة واتزاناً

ومن أسماهم خلقاً

ومن أدقّهم وأتقنهم عملاً

ومن أكثرهم إبداعاً ومحبة وسلاماً

ذلك لأنَّنا سمحنا لتلك النفخة أن تتصل بأصلها

وما أصلها غير قوّة لا متناهية من الجمال والسمو والحكمة والرحمة؟

فتنهل من ذلك النبع الأصيل

وتروي به قلوبنا... فيدخل الانشراح إليها ويشيّد له بيتاً

وتروي عقولنا... ليفكّر في طريق واحد فقط

ذلك الذي يوصل من باطل إلى حق... ومن ظلمة إلى نور

وتروي أجسامنا... فترتسم الابتسامة في بواطن ملامحنا

نلهم من يرانا ابتسامة... وحمداً للوهاب القهار

الخالق

في حديقة عامة

وفي يوم بارد يتساقط فيه ثلج كثيف

جلس شاب يائس من الحياة على كرسي

وإلى جانبه أطفال يلعبون

كلّما عمل أحدهم شكلاً جميلاً من أكوام الثلج... رمق ذلك الشاب بنظرة

علّه يعيدها عليه بابتسامة تشعره بالاعتزاز والانجاز

ولكنّه كان ينظر إليهم دون أن يراهم

فعقله يجول في صحراء اليأس والملل القاحلة

وجهه كئيب... وعيناه شاردتان تحدقان دون تركيز

فهو قد سأم الحياة ورتابتها... فلا تعني له إلا تكرارا وتكرارً

ولا يرى فيها غير أثقال لمآسي الأمس... يحملها معه كل يوم

تجمّعت مجموعة من قطرات الثلج عليه

خاطبته إحداها: انظر إلينا نحن قطرات الثلج

الملايين منّا نحيط بك الآن

نبدو لك متشابهات... ولكن ليس فينا اثنتان متشابهتان

فلو دققت فينا ونظرت إلينا تحت مجهر... لرأيت تنوعنا

واختلافًا لكلٍ منّا عن الأخرى... رغم الجمال الذي يجمعنا

ونحن لا نتعدى أن نكون قطرات مياه

فكيف بحالك أنت أيها الشاب؟

لديك القدرة على خلق الفرص

وأن تسبح بخيالك أبعد من عقلك... وترسم آمالك

ومن ثمّ تقرر ما تختار لكل لحظة من حياتك... لتشكّل يومك وغدك

فتختار أفكارك وعملك وحالك

ألا ترى؟... وجودك هنا وحالك وبؤسك واكتئابك هو خيارك أيضاً

فحين نؤمن بالتكرار...

نحن لا نتبنّى رأياً... بل نتبنّى نظرة للحياة

نقرر معها ما نفعل وما نتجنّب

هذا الإيمان ينخر فينا كآفة سامّة قاتلة

تغير المعاني... وتظلل كل شيء بلون رمادي ميّت

وحينها...

سيكون خبر ولادة طفل تكراراً

وتفتّح أزهار الكرز في الربيع تكراراً

وسقوط تفاحة على الأرض تكراراً

وطلوع الشمس كلّ يوم تكراراً

فنفكّر في مشكلاتنا وفرصنا وعلاقاتنا كما يوم أمس

فلا تطوير ولا تغيير... بل تكرار لمكررات

فنقتل الحياة في أنفسنا ... ولن نهدي العالم من حولنا سوى السأم

كلّ عمل نقوم به حتى وإن بدا مكرراً

نستطيع أن نضيف إليه اليوم شيئاً

يختلف عمّا أضفنا له يوم أمس... وما سنضيف له يوم غد

فنتطور... وتتطور معنا الحياة

فلن يعجز العالم أن يعطينا مفاتيح جديدة لم نرها من قبل

لم تمر بخواطرنا... ولم نعلم بوجودها

فلو أمضينا حياتنا في التأمّل بأسرار أحد مخلوقات الله فقط

لاكتشفنا كلّ يوم شيئاً جديداً... وكلّ يوم سرّاً فريداً

ولانتهت أعمارنا ولم ندرك منها إلا اليسير

فأنّى لنا بالأيام المكررة؟

فاليوم هو خلق جديد من خلق الله

وهو ليس أمس ولكن باسم جديد

والغد... هو ليس اليوم باسم جديد

بل هو خلق جديد

فكلّ يوم هو في شأن

فتبارك الله أحسن الخالقين

البارئ

لا يخلو يومه من شجار أو انتقاد

في البيت أو العمل أو مع أي شخص يتعامل معه

هناك نقص أو خلل في الكثير مما يقوم به

بعضه كارثي... وآخر أقل خطراً

منه ما هو واضح جلي... وآخر يتضح بعد حين

قليلاً ما يتقن عملاً ولو كان بسيطًا... أو معتاداً

ما إن يبدأ بعمل حتى يمّل منه... أو يرى أنَّه لا يستحق وقته

وأحياناً... يريد فقط إنهاءه ليرتاح

هو في عجلة دائمة

يرى أموراً كثيرة على أنّها تافهة... مع أنَّها أساسية لا غنى له عنها

فيقوم بها دون روح أو رغبة أو نشاط

وفي كل ذلك... يرى نفسه مظلوماً يقسو عليه الآخرون

فبالنسبة له... ما البأس في أن لا تُتقن بعض الأمور

فدائماً هناك من يستطيع أن يصححها... أو يعيد عملها

وتعجز عيناه من أن ترى هدر العمر في ذلك

وهدر ثقة الإنسان بنفسه

وهدر معنى ثقافة الإتقان

فمن لا يتقن عمله... من الصعب أن يتقن أفكاره

ومن لا يتقن أفكاره... من الصعب أن يتقن قراراته

ومن لا يتقن قراراته... من الصعب أن يتطور إنسانياً

وأن يتعرف على جوانب مختلفة من حياته ليرقى من خلالها

وأن يرى النظرة الكلية للحياة

فهي حلقة... موصول كل جانب منها بالآخر

فالبارئ خلق الأكوان بإتقان خالٍ من الخطأ

من أصغر أجزائه إلى أكبرها

والإنسان خُلق مثيلاً للخالق

فلا يليق به إلا أن يتعلم الإتقان في التفكير والعمل

ويعمل على تقليص أخطائه

ولكي يتقن... عليه أن يأخذ أموراً جديرة بالاعتبار

حتى ولو لم تكن واضحة جليّة

فيساعد عقله أن يتعلم النظرة الشاملة

وأن يعرف أبعد من العمل الجاف

وأن يتأمّل... ما الذي يريد أن يصل إليه من عمله؟ ومن أجل ماذا يقوم به؟

فتكون نظرته إبداعية متقنة

وتتدرّج لينعكس ذلك على تفكيره وعمله

يجربها في الأمور الصغيرة... لتكون سنداً له في تلك الكبيرة

يجمع كل المعطيات... بالعقل والمنطق

ثم يعرضها على قلبه

فيضيف إليها قوّة وربطاً بوجوده

فيتقنه... حتى لو بدا عملاً صغيراً تافهاً

فكلّ طير وحشرة وشجرة يسبّحون باسم الخالق البارئ

الذي علّمهم دورهم في الحياة

فعملوا لأجل ذلك بإتقان دون كلل أو ملل

حتى في تفاصيل جلب قُوتهم لكل يوم

فإذا كان هذا شأنهم... فماذا شأنك أنت أيها الإنسان؟

المصوّر

عندما تنظر إلى تلك السمكة الملوّنة الصغيرة

وتتأمل ألوانها وتركيبها وشكلها... انسيابها وتناسقها وحركتها

أسنانها وعينيها وحتى قشورها

وربط كل عضو من أعضائها ببعضه

ثم تلتفت لترى شجرة... بأغصانها وفروعها وأوراقها

وتفكّر... أنَّ عدد الأشجار والأوراق على الأرض لا يُعدّ ولا يُحصى

ولكنَّك لا تستطيع أن تجد شجرة قبيحة قط

ولن ترى اثنتين متشابهتين تمامًا

ومع ذلك... كلّ شجرة... بل كلّ ورقة

لديها قصة طويلة لتحكيها

عن حياتها... واندماج ما نرى منها وما لا نرى

وعمل كل جزء منها بصمت... وبمنتهى الإتقان والدقة

وإبداع خارق عن تصور البشر

وبعدها... تنظر لنفسك في المرآة

فكلّ شعرة منك موسوعة من العلوم والجمال

وتتأمل يديك وأنفك وعينيك... وتناسق كلّ جزء فيك

وأنَّك مختلف عن كلّ شيء وكل أحد

يرتبط عقلك... بجسمك... بإحساسك... بعاطفتك،

برباط خفي قوي عجيب

وبعدها... تجلس في مكان مفتوح

صحراء كان أو قمة جبل

بستانًا كان أو ساحل بحر

حديقة حيوان أو عند تجمع نمل على عتبة باب بيتك

وتتأمل ما تجد أمام عينيك....

من طيور طائرة... أو حشرات زاحفة

رمال مكدّسة... أو سحب عابرة

أطفال لاهية... أو مياه جارية

أو أي شيء تقع عيناك عليه من خلق الخالق

وتتأمل... فقط تتأمل

كيف صور الخالق كلّ هذه المخلوقات بهذه الدقة والجمال؟

ومع ذلك... كيف هي مختلفة كلّ هذا الاختلاف؟

كيف تناسقت هذه الألوان والأشكال وانسجمت؟

كيف يمكن لوجه الإنسان بحجمه الصغير...

أن يكون مختلفاً لبلايين من الناس؟

ستتقاطر على ذهنك مئات... بل آلاف من الأسئلة

فهذا التأمّل يخرجك من بؤسك ومن دائرتك الصغيرة

ويدخلك عالماً كبيراً واسعاً... هو أشبه ببلاد العجائب

يغير نظرتك لما تعتقد أنَّه مستحيل

وستجد أن أفق الممكن أوسع من أن تتخيل

وأن الإبداع الممزوج بالجمال شيء لا بداية له ولا نهاية

وأنَّك أنت أيضاً... بك قدرة لتأخذ نسمة من ذلك

ألا تريد أن تجرّب قبساً من تلك النسمة؟

الغفّار

في يوم...

أوصل ابن جاره مع ابنه إلى المدرسة

وأعطى مبلغاً من النقود المعدنية لامرأة فقيرة في الطريق

وترك ما بيده وذهب يصلي وقت الأذان

وأعطى قطعة لحم لقطة جائعة عند باب بيته

وقبل أن ينام... حفر كل ما عمله من خير

على قائمته الصخرية

فقلبه مقسّم إلى ثلاث قوائم

إحداها صخريّة... يكتب عليها كلّ خير يعتقد أنَّه عمله

ويتأكد أنَّه يحفر ما يكتب جيداً... حتى لا تمسحها ذاكرة الزمن

يحصي ما أعطاه للآخرين

وما يعتقد أنه يستحق عليه جزاء خير من الله

وما يتوهّم بأنه يُطالب من أحسن إليهم... أو يُطالب غيرهم

سواء كان شكراً أو تقديراً أو رداً لجميل

مع أنَّه لا يعرف إذا كانت نواياه خالصة... أو دوافعه إنسانية

فهو لا يشك بذلك... ولا حتى يمرّ بخاطره

وله قائمة أخرى طينية

يحفر عليها كلَّ عمل أو كلمة يعتقد أنَّه آذى بها أحداً

أو كسر قلباً... أو ساهم في أن تيأس روح

أو أسرف في حقّ نفسه أو غيره

أو تقصير منه في حق خالقه

ولكن... هذه القائمة ليست كما تلك الصخرية

فهي تعتمد على مزاجه... ونظرته للحياة وتفسيره لها لذلك اليوم

فإن كان مزاجه جيداً... أعطى لنفسه تبريراً لما فعل

وصبَّ ماء الغفران على نفسه... ونسي ومضى

وإن لم يكن... قد يختار أن يستخدمها لتزيده بؤساً

فهي كلها بيده

يحوّل شكلها ويغيرها كما يشاء... متى يشاء

وقائمته الأخرى رملية

هو لا يعرف أنَّها موجودة

ولا يكتب عليها... فهي تكتب نفسها بنفسها

تنقش كلّ خير قام به لأجل الخير

وكلّ إحسان لأجل الإحسان

وحين يعطي من أعز ما يملك... ولو كان هو بحاجة إليه

ليس لمردود أو مصلحة أو منفعة... بل لأنّ الله يحب ذلك

فيفعله حباً في الرحمن... وحبّاً في ما يحبّه الرحمن

قد تكون هذه القائمة الرملية صغيرة

ولكنها واسعة على شاطئ الرحمة والمغفرة

تنادي الحجر والطين كل حين... أن تعالوا معي فالشاطئ يحتضنكم

حوّلوا كلّ خط ونقش فيكم إلى صلاح وإصلاح

وفتتوا ذلك الحجر والطين... واجعلوه كما الرمل

لكي يسمح لبحر الرحمة والمغفرة أن يتخلله

وتبتل كل ذرّة فيه من ذلك الماء... وتستشعر عطره

فالغفّار يستر ويغطّي ما لا نتخيل من مساوئنا

فلنشكر... ونخلص في الشكر

ولنبن في قلوبنا عشاً... يجذب القلوب الحائرة واليائسة والمتعبة

لتشعر بالدفء والاطمئنان

ويحفزّها لكي تغرس بذرة من الأمل فيها

ثم تنطلق بعزيمة وإيمان

لتبشّر قلباً متعباً آخر

بأن الغفَار غفّار... حتى في ذلك اليوم الذي فيه يُبعثون

القهّار

القهار... يقهرنا بسُننه وإرادته

ولا شيء في الوجود خارج عن سيطرته

يكون ما يريد... ولا يكون ما لا يريد

ولو اقتبسنا من اسم القهار ورقة خضراء

لقهرنا الكسل... لنُصبح كفراشات ملوّنة خفيفة جميلة طائرة

وقهرنا الكره والحقد... لتتسع آفاقنا وقلوبنا لتشمل الأفلاك

وقهرنا الشفقة على أنفسنا... لنسترد كرامتنا مع ذواتنا وترتفع هامتنا

وقهرنا الوساوس... ليصبح ذهننا صافياً كماء زلال ينبع من أعلى جبل رفيع

وقهرنا سوء الظن... لنفتح بيننا وبين الناس طريقاً من المودة مزروعًا بالياسمين

وقهرنا البخل... لنتذوق طعم العطاء وتستمتع به أعماق وجودنا

وقهرنا الخوف... لنتحرر من الأسر ونعيش تحت سقف اللامحدود

وقهرنا دناءة النفس... لنختبر المروءة ونفتح لأنفسنا نافذة على عالم ملون بألوان السمو

وقهرنا البؤس... لنسمح لأشعة شمس الانشراح أن تضيء لحظات حياتنا

حتى التي أكثرها قسوة وظلمة

وأيضا... لقهرنا الفرعون الذي بداخلنا

ذلك الذي يحب أن يطغى... ويستحوذ على رقاب الناس

بالحيلة تارة... وأخرى بالمكر والخداع والتزوير

ويريد أن يكنز أرضاً ومالاً

ويحب أن يشعر بالعلو والكبرياء

ويسمع المديح والتبجيل

فحين نقهر كل ذلك فينا... نصبح أسطورة إنسانية

لنا جذور صلبة قوية... لا ترجفنا العواصف

ولنا أغصان متفرعة تصل إلى النجوم... تشعرنا بالسمو

وأزهار عطرة... تُسكر كلّ من يقترب منها

فتحفّزه لمحبّة الإنسان في نفسه... وفكّ أسره

ومحبّة الآخرين... ومساعدتهم في إبراز أسمى ما بأرواحهم

فنرى في أنفسنا قوة قاهرة... نستمدّها من القهار

نسيطر بها على أنفسنا وأهوائنا

ونحدث شروخاً في أطواق الشر أينما وجدت... وربما نكسرها

ونضيف رصيداً للخير والجمال في هذا العالم

ونساعد الناس ليروا الخير في كل مكان ويحفزوه

ويستقبحوا الشر في أي مكان ويذيبوه

وإذا اخترنا أن نكون نحن ذلك الإنسان

سنعيش مشاعرَ تُعادل لحظة منها... عمراً طويلاً مديداً

ولأصبحنا أجمل من أن نستطيع أن نرى أنفسنا في مرآة كبيرة

ولا تسعنا إلا مرآة الكون

فتغني لنا الطيور... ومعهم أنفاس أوراق الأشجار

أن ما أسعدك من إنسان

الوهاب

تاه بُلبُل

وصار يبحث عن مأوى

وصل على سفح جبل صخري

وضع رجليه الصغيرة على صخرة... علَّه يجد مكاناً يستقر فيه

فسمع صوت الجبل يحدِّثه...

كم أنت محظوظ أيها البُلبُل

وهبك الله جناحاً تنطلق به

ولطافة تجذب بها القلوب

وصوتًا تطرب به الورود

وأنا...

برغم عظمتي... حبيس مكاني

قسوتي تأتي بمعاول... لتكسِّر صخوري

وصمتي... يطبق على أجوائي

سكت البلبل برهة.. ثم قال...

عجبًا...

وهل يغبط مثلك مثلي... أنت بعظمتك وأنا بضعفي؟

دعني أحدِّثك إذن

وهبني الله كلَّ ما قلت

ولكن... ليس هذا ما يسعدني

بل ما استعمله لأصنع فرقاً... وأضيف شيئاً

فأنا أغني للوردة... لأُعلِّم الناس الغزل مع الله

وأدعوهم لمحبته

وأن تكون أعمالهم خالصة له

وأذَكِّرَهم... بأنَّ الحياة قصيرة

عليهم أن يعملوا جميلاً... ليصلوا إلى المعشوق

وأما أنت...

كيف لا ترى أنّ الله وهبك القوّة والشموخ

وأهم من ذلك... القدرة على العطاء؟

ففي بطنك كنوز متنوعة

والأرض مضطربة دونك

وتحتمي بك كائنات كثيرة

فكم يشبه حالك الإنسان

هو أيضاً لا يرى إلاَّ ما لدى الآخرين

وهو في مقارنة دائمة معهم

يبكي على ما يملك غيره

ولو أمعَنَ وتأمل... لعرف أن عمره القصير

لا يكفي لأن يحصي ما لديه

وأن الله وهبه كل ما يحتاج ليرقى

ليصبح إنساناً

يستمتع بالحياة بانشراح... ويصل إلى أعلى الدرجات

وعليه فقط... أن يعمل بها

فلنبدأ كلّ يوم من أيامنا... بذكر شيء وهبه الله لنا

صغير كان أو كبير

ونعطي زكاة تلك الهِبَة

بأن نفرح قلباً... أو نزيح غمّاً

فحينها حتماً...

ستكون نفوسنا أهدأ

وأرواحنا أرقى

والعالم من حولنا أجمل

الرزّاق

رجع الرجل غاضباً إلى زوجته

يندب لها حظّه العاثر

لأنَّه رغم تعبه وشقائه ... لم يستطع أن يشتري بيتاً كبيت جاره

ولا يمتلك رصيداً كزميله

ومع أنّه يقوم بمهام ثقيلة في العمل... إلا أنّ راتبه لا يتناسب مع عمله

فهو لا يدري لماذا لا يطرق الرزق بابه

وأصبح كأنّه طائر وحشي لا يقر له قرار في بيته

أشفقت عليه زوجته من شكواه الدائمة... وعادت تذكّره بلحن ليّن حان

هل الرزق فقط في المال؟

ألم يخلقنا الخالق لنُبْرِز للوجود أفضل ما لدينا،

وأعطانا روحاً ونفساً وجسداً،

علينا أن نعتني بهم ونعمل على تنميتهم معاً،

لا نهمل واحدة على حساب أخرى؟

فالرزّاق يرزقنا في كل هذه الجوانب... ليس رزقاً مادياً فقط

فعلينا أن نجدّ ونعمل ونطمح... ونطرق كلَّ باب مشروع

لكي نحصل على أرزاق أجسادنا

ولكن يبقى هذا جانبًا واحدًا من الرزق

مع أنَّنا كثيراً ما لا نرى في الرزق غيره

ولا نلاحظ الأرزاق الأخرى التي أعطانا إياها الوهاب

فكلّ حاسة ومهارة ومعرفة وعلم وخُلق رزق

وقلب يحنّ علينا وصداقة يُعتمد عليها رزق

ووجود أسرة وأخوّة في الدّم أو في الله رزق

ووجه بشوش والقدرة على الابتسامة رزق

والصحة والحركة والحرية رزق

والقدرة على تذوّق الفنون وجمال الطبيعة رزق

والحصول على كتاب جيد وسماع كلمات راقية رزق

واستشعار متعة لعب مع طفل وضحك مع شيخ عجوز رزق

والقدرة على النوم والدفء عند البرد رزق

وقول كلمة تشرح صدر شخص مهموم رزق

وغيرها...وغيرها... وغيرها... مما لا يُعدّ ولا يحصى

كّلها تساهم في أن تصنع منّا إنساناً أرقى... وأن نمضي لما خلقنا لأجله

وما يسعدنا في هذه الدنيا... وتلك

فهي لا تقل أهمية عن مال أو مُلك

فكم من أشخاص استشعروا الفقر رغم تكدّس ثرواتهم

وآثروا إنهاء حياتهم على العيش في رغد الحياة المترفة المرفّهة

فحياة الحرمان وفقر الروح والنفس أثقلت كاهلهم

واختاروا اليأس بدل أن ينظروا إلى تلك الأرزاق ويفهموها

أو يعملوا ليحصلوا على ما يغني أرواحهم وأنفسهم

فالكريم الوهاب يرزق الدودة العمياء تحت أكوام الصخور والأحجار

فكيف لا يرزقك وأنت الإنسان المكرَّم

فقط عليك أن توسّع مفهومك لمعنى الرزق

وتخرج من دائرتك الضيقة وتنظر إلى خَلقك

وترى ما رزقك الحق لرُقيّ روحك ونفسك

لينشرح قلبك... وتمتليء بالأمل

فسيفتح عليك ذلك رزقك المادي أيضاً

فبالانشراح تجلب أنواع الرزق

وبالكآبة والبؤس والتذمّر تُغلق الأبواب على نفسك

فالرزّاق الكريم لا يغلق بابه أبداً

الفتاح

منذ أن أصبح يتيماً

لم ير أحد دمعة منه

فدموعه أصبحت أعزّ ما يملك

يريدها له وحده... لا يشاركها معه أحد

وفي ليلة ممطرة قاتمة... شعر بضيق لم يسبق له أن عرفه

فمدرسته تطلب ثمن امتحان قدرات الرياضيات لمن يودّ المشاركة

فإن نجح... سيكون جزءا من فريق يتسابق على مستوى المدينة

وهو يعشق الرياضيات وبارع فيها

ولكن أنّى له بثمن الامتحان مع بساطته

أغلق الباب وجلس على الأرض مسنداً رأسه إلى الحائط

بكى وبكى...

ثم ذهب لأمه طالباً منها أن تدعو له ليحصل على المال

فرفعت كفّيها ودعت...

يا فتّاح يا عليم... افتح علينا أبواب فضلك وكرمك ورحمتك

فتوسل لها أن تحدد دعاءها بالحصول على المال

فابتسمت له وكررت دعاءها بكل وجودها

لم يبقَ على الامتحان سوى أيّام معدودة

وفي كل يوم... لم يفكّر أو يشغل باله سوى كيفية الحصول على المال

ذهب إلى المدرسة في اليوم الموعود

يده فارغة... قلبه مكسور... وأمله حتى بالأمل مفقود

خنق دموعه... ووعدها بأن يحرّرها حين يعود إلى البيت

وقبل أن يدقّ جرس الحصة الأولى... ناداه المدير مع طالبين آخرين

أخبرهم بأنهم سيدخلون المسابقة دون امتحان

ذلك لأنَّ درجاتهم كاملة في الرياضيات طوال العام

شعر أنّ قلبه قفز من مكانه وكأنّه سيخرج من حلقه فرحاً

ولم يستطع الانتظار حتى وقت الانصراف ليبشِّر أمه

فما أن وصل احتضنها وزفّ إليها خبر نجاحه

قبّلته على جبينه... وسجدت شاكرة للرحمن كرمه

ثم التفتت إلى ولدها وهمست له...

بأن لو عمل الإنسان كل ما يستطيع بإخلاص

وتوكّل على العليم الرحيم

ودعا الكريم بأن يفتح عليه ضيقه

ولم يصرّ على طريقة واحدة لا يحيد عنها

وتيقّن بأنَّ اللطيف الخبير يعلم طرقاً لا تعدّ ولا تحصى

قد تُوصل لذات النتيجة... وقد تكون شيئاً آخر تماماً

نتائج مختلفة... لا متوقعة ولا مألوفة

قد لا يعي معناها الآن... أو حتى بعد مرور السنين

ولكنّها تصب بمصلحة أكبر مما يأمل عقله المحدود

مصلحة تصب في وجوده كإنسان

وليس فقط في الحصول على شيء... أو حتى تغيير وضع

لو علم ذلك وتذكّره في أوقاته الصعبة... لعمل بشكل جاد دون ملل أو يأس

ولفهم ما وراء الكلمات والأحداث والنتائج الآنية

ولسلّم قلبه للسلام... ورقص على أنغام الرضا

العليم

على قارعة طريق عام

تقف شجرة شامخة

تَنظر حركة الناس

كلَّ يوم...

منذ الصباح... وحتى المساء

تركِّز في تفاصيل وجوههم... تتساءل...

ماذا لو فَكَّر هؤلاء... ولو مَرَّة

أن يعرفوا سِرَّ وجودي

ويكتشفوا كيف تعمل ورقة مني

لماذا هذا لوني

وكيف أثمر هذه الثمرة... وليس ثمرة أخرى

ولماذا أنا هنا... ولَست في مكان آخر

لو فكَّروا... لعرفوا...

كم هو واسعٌ هذا العالم

وأن ما عرفه الإنسان من علوم العليم

أصغر بكثير... من جرثومة مقارنة بالأفلاك

فأغلب الناس... مُبتلون بِجَهل مُرَكَّب

لا يعلمون... ولا يعلمون أنَّهم لا يعلمون

فلو بدأ الإنسان بمعرفة نفسه... لعرفني أنا أيضا

وعرف أموراً كثيرة... لا يعرف حتى أنَّها موجودة

فهو في قارب

وكثيرًا ما يدفع أيام حياته ثمناً

ليتعلم... كيف يُزيّن هذا القارب

ويتنافس ليكون شكل قاربه... أجمل من قوارب الآخرين

فلو نَهل من اسم العليم علماً... وشغل عقله به

لوصل إلى تلك المعرفة

التي يفهم بها البحر الذي يمضي فيه... والمسير الذي يُبحِرُه

والمكان الذي يريد أن يصل إليه

ولَحَطَّ قاربه على شاطئ السلام

ذلك الشاطئ البديع... الذي به أنغام لم تسمعها أذنه قط

وغرائب لم ترها عيناه قط

وعشق لم يجربه قلبه قط

القابض

جرى الطفل المشاكس خوفاً من أمّه

بعد أن كسر إناءً ثميناً

أهداه لها والدها قبل أن يفارق الحياة

فكثيراً ما يثير غضبها هذا الصغير... ولكنّها تصبر عليه

تارة تستدر عطفها وشفقتها على حداثة سنه

وتارة تستحضر محبتها اللامتناهية له

وتارة تحاول أن تمتحن قدرة تحمّلها معه

ولكن هذه المرّة... فشلت كل محاولاتها

فما فقدته آلمها كثيراً

ركضت وراءه لتمسك به... فقد قرّرت أن تؤدّبه وتلقّنه درساً

فما هي إلا لحظات... حتى صار تحت قبضتها

أمسكته بقوة بيديها... فصار لا يستطيع فراراً ولا حراكاً

لا حول له ولا قوة

يتأرجح بين خوف من بطشها... ورجاء لعطفها

فهي من سيستغيث بها لتغيثه من غضبها

فلم يقوَ إلا أن نظر في عينيها ورمقها بنظرة دامعة

وفي قمة خوفه... احتضنها وبكى

فلا ملجأ له سواها

فمحبّة تلك الأم لطفلها لا تعدو قطرة

من بحر واسع عميق من محبة الخالق ورحمته

فلمن نلجأ حين تخيفنا الأيام،

وتتقاذفنا الأحداث... وتتوالى الآلام،

ونتوه ونتأرجح... بين أخطائنا وعصياننا،

ومحاولاتنا للتوبة والرجوع لجمال فطرتنا؟

فلا ملاذ لنا إلا التواب الرحيم

أليس الكون والأرض في قبضة الملك القيوم

اليوم... وكلّ يوم ومعها يوم الدين؟

وهو الباسط والقابض

نسأله أن يُلهم أرواحنا الانبساط والانشراح

لكي نستطيع أن نمضي بالتوبة الممزوجة بالأمل

ثم نقوم بعمل الخير لتصحيح ما أفسدنا

ونبتعد عن جَلد الذات والغوص في وحل اليأس

ونستطيع أن نسمع رسائل الكريم لنا من كل شيء

وإن أخطأنا... نغسل قلوبنا بدموع التوبة الصادقة

ونبدأ من جديد... ونعمل خيراً أكثر مما كنّا نفعل

ونساعد قلوباً خائفة واجفة... أن تثق بأنّ الأرض وما عليها بعين الله

الجبار الذي وسعت رحمته كل شيء

وأنّ بابه مفتوح للراجعين إليه

الباسط

جلست عجوز في غرفتها الصغيرة

تلك التي ليس بها غير سرير ومرآة وصندوق حزين وآخر مبتسم

فتحت صندوقيها

الأول به كلّ آهاتها أحزانها ودموعها

والثاني كّل بركاتها وجميل حياتها

تذكرت الباسط وما بسط لها في رزقها وعيشها

وأنه باسط يديه بالرحمة والمغفرة والرزق

وتأمّلت ما تنعّم به الخلق من ذلك

ممن تعرف... ومن لا تعرف

فحدّثت نفسها...

بماذا بسطت يدي طوال حياتي

بأي صندوق واجهت العالم من حولي،

ماذا أعطيت من نفسي ومما أعز،

منذ بدء حياتي... حتى الآن وأنا أنتظر نداء الرحيل؟

بابتسامة هادئة وعين دامعة

قالت لنفسها...

ليتني أغلقت صندوقي الحزين... ولم أفتحه

وفتحت صندوقي الجميل... ولم أغلقه

ونثرت عبق ما فيه...

لأفتح نافذة أمل... على قلوب متعبة

وأمنح فرصاً خضراء... لمن حوّلوا فرصهم لرماد قاتم

وأُلهم العفو... حين تستشيط الأنفس غضباً من ظلم مقيت

وأحفّز الناس... ليستطيعوا أن يثقوا بالحياة بعد جور طويل

وأكسر من رغيفي حين جوعي... وأنا ممتنة لمن أُعطي

وأدعو لكل من بقلبه ذرة خير... قبل أن أدعو لنفسي

وأبتسم من قلبي... لا لشيء إلا لأهديها لمن لم يتذوقها

فبقدر ذلك... يمتلأ صندوقي الجميل

وينقص من صندوقي الحزين

ويكون لي مكان في كل قلب استنشق من هذا العبق

حتى ولو لم يعرفني يوماً... ولن يعرفني أبداً

فأوقد له شمعة صغيرة... يرى بها ما لم يبصر من قبل

حتى ولو أطفأ تلك الشمعة... أو أطفأتها الرياح من حوله

فقلبه لن ينسى تلك الومضة

وقد يستحضرها في يوم حالك الظلام

حين يرتجف قلبه من صوت عواء الذئاب

ويكون حائراً حين تتشعب الطرق

ويبرد قلبه حين تكسره معاول اليأس

فتلهمه دفئاً وتماسكاً ومحبة وأملاً

فلا يموت نور شمعة تشعّ جمالاً قط

ولا تعرف كيف تنير شموعك قلوب الآخرين

ولك أن تتخيل...

كيف ستبدو لك تلك الشموع يوم الحساب؟

الخافض

في إحدى القرى البعيدة النائية

اجتمع سكان القرية ليحفروا بئر ماء

وبعد أن أنهكهم العمل... أشعلوا ناراً بجانب البئر ليستريحوا

فشعرت النار بنشوة العلو

ونظرت للحفرة من أعلى نقطة وصلت إليها

فأزعجها صلابتها وعدم انبهارها بها

فخاطبتها من عليائها

أن يا لك من بائسة

يجتهد الناس ليوصلوك إلى أسفل مما أنت عليه

فكلما كنتِ للقاع أقرب... كانت قيمتكِ أكبر

فأنت في نزول دائم... وستبقين هكذا

لا أمل لك برؤية النور يوماً

صمتت الحفرة ولم ترد

وتكلمت جمرات النار وأحطابها بدلاً منها

بأن نحن أصلك ومصدرك... وأنّى لك أن ترتفعي دوننا

ومع كل ارتفاع لك... نحن نصغر ونتلاشى

فارتفاعك... هو انخفاض لأصلك ومصدر وجودك

فليتك كنت مثل تلك الحفرة التي تحتقرين

فانخفاضها ارتفاع لها ولشأنها

فهي تنخفض تواضعاً... وليس ضعفاً

فأنت تحملين تناقضك بداخلك

كذلك الذي لديه علم... ويرى أنه ذو شأن أعلى من غيره

أو مال... ويعتقد أنّ بيده مفاتيح قدَرِه وأقدار غيره

أو مكانة لدى سلطان... ويُؤمن أنَّه بمأمن من نتاج ظُلمه

أو حتى اعتقاد... بأنَّه المتحدث عن ربه وممثله

فيعطي لنفسه مقاماً واهماً... يصدّقه ويعمل من منطلقه

غافلاً... بأن ارتفاعه كارتفاع النار

ما أن تتلاشى مصادرها حتى تنخفض... ومن ثم تخبت

وربما تموت

فمن كانت رفعته هكذا... تتقلص روحه

وكلَّما تقلصت روحه درجة... انخفض مقامه الإنساني درجات

وابتعد عن نفسه مسافات

وقد يضيعها في أودية الحياة وجبالها وكهوفها

ولا يعرف كيف يرجع إليها مرة أخرى... ليستعيدها

فيتيه في عالم خيالي وهمي

يسوده الخوف والحرص والشعور بالنقص لكل شيء

فيريد المزيد لا لحاجة... بل لأجل الاستزادة

يخاف الزوال... ويكره ما يُذكّره به

فلا يتحمل شدَّة ولا صعوبة ولا محنة

لأنَّه يرى فيها تهديداً لوجوده وكيانه

فهي قد تحرق مصادره التي ترفعه

ولكي يحافظ عليها... قد يدوس على قيم اعتز بها

ومبادئ نادى بها... أو أخلاق تحلى بها

وحين تقع الواقعة... تلك التي ليس لوقعتها كاذبة

ويشهد فيها حساب الخافض الرافع

يبكي قلبه حسرة وأسى

فلنشفق على أنفسنا من تلك الحسرة

وندعو العزيز الكريم أن يلهمنا علواً حقيقياً

مصدره نفس مطمئنة

نصنعها بعمل متقن للذي أتقن كلّ شيء خلقه

ونيّة خالصة للرحمن الرحيم

وتواضعاً ورحمة لخلق الخلاّق العليم

وحبّاً وشوقاً لكل ما يحبّ الودود الغفور

وأن نمسك بحبل الله المتين... نصعد به ونسمو

الرافع

مُحيِّر أمر هذا الإنسان

لم يكن شيئاً مذكورًا

ثم تحوَّل إلى نطفة وعلقة

وعاش في ظلمات لا يستطيع حتى أن يمد جسده

ثم أتى إلى هذه الدنيا

أضعف من أي مخلوق وجِد

وطوال حياته... يحتاج لمن يزرع له ويحصد ويخيط...

فهو محتاج لأناس لم يرهم قط

ففضل الأموات عليه كما الأحياء

وكل شيء يحتاجه ليحيا...

عمل عليه مئات الأفراد حتى وصل إليه... وربما أكثر

جرثومة لا تُرى... تقتله

ولفحة هواء... تُعييه

وكلمة... تزلزل كيانه

يعرف أنَّه كما هو... ضعيف ذليل

فيعمل ويجتهد... ليُعلي شأنه... ويرفع مقامه

ومهما فَعَلَ وجَنَى

قد يرتفع في أعين الناس... وبداخله يرى نفسه ضئيلا

وقد يرتفع بعين نفسه... ويراه الآخرون متكبراً صغيراً

وقد يرتفع بعينه وبعين غيره... ولكنها رفعة ضعيفة هشَّة

تنقطع في أي حين... فيسقط ويهوي

أو أنَّها تبدو عالية... ولكن في جوهرها قزمة

بقامة نملة تحت سماء زرقاء

أو أنَّها مُشرقة... ولكنَّها كومضة مصباح باهت

تتجه إلى السماء... وما تلبث أن تُمحى وتتلاشى

فلن تكون الرفعة حقيقة ثابتة... مالم تتصل بحبل الرافع الأعلى

ذلك الحبل الذي يوصله بأعماق ذاته

بتلك النفخة الربانية... ومنها بمن نفخها فيه

فترتفع معه أخلاقه وحلمه وكَرَمه... وقدرته على الحياة بسلام

وصدقه مع نفسه ومع الآخرين

وترتفع معه قيمته... أينما يكون

فوجوده خير... ويُلهِم الخير

فحتى أقسى الناس وأشقاهم... يحترمون في دواخلهم الخير والخيّرين

والصدق والصادقين

ولو قاتلوهم... وحاربوهم وجاهدوا ليفنوهم

فالحياة تعطي لوجوده قيمة... ليس لمن هو

بل لمن هو مرتبط به

فيرفعه الرافع...

ومن يرتبط بالعلي الأعلى... يعلو لا محالة

ويتعلم كيف يكون عاشقاً

وهيهات... أن يعرف الذل من عرف العشق

المُعِز

نحن جميعاً تراب

بكل ما يحتويه من مكوِّنات

نحمل أوزارنا وذنوبنا معنا أينما ذهبنا

يرانا المُعِز

ومع ذلك...

يعكس اسمه علينا

وما هو مطلوب منَّا...

فقط...

أن تكون جذور أفكارنا... نوايانا وأعمالنا

ممتدَّةً إليه

فحينها... حتى لو أخطأنا

حُوربنا أو أُوذينا

أو حتى سُجنّا... وخسرنا حريتنا

صحتنا أو متعتنا

ستكون العزَّة نصيبنا

ليس لشيء... إلا لارتباطنا بالعزيز

فهو الذي أعزّ يتيم قريش وجعله خِيرة الخلق

وأعزَّ يوسف بعد بيعه

وأشاد بهدهد سليمان...

وأطرى كلب أهل الكهف...

لاتّصالهما بمن اتّصل بالواحد العزيز

فما عساه أن يعطينا... ونحن مَن خلق الدنيا لأجلنا؟

ولكن حذارِ... أن تغتر بما أنت فيه

فلا عزة مع غرور

انتبه أن لا تحقِّر شخصاً أو تذلّه

بكلمة... أو إشارة... أو نظرة

أو حتى أخفى من ذلك... بخاطرة في قلبك

فتسقط في قاع عميق

قد لا ترى حبلاً تستنجد به

لأنَّك ستنشغل بدفع ثمن الالتئام

لقلبه الذي آذيت... وقلبك الذي لوَّثت

وهذا يقطع حبال الصلة والوصال

ولن تكون العزة رفيقك دون تلك الصلة

فساعد الآخرين على رؤية تلك الحبال... ليساعدوك

وتنعكس صلتهم بالعزيز عليك

فتصبح بذلك أكثر عزَّة

فلا مجال للعزة ما لم يعطك إياها العزيز

فهو المعز... ولا أحد سواه

المذل

التفّت حيّة حول غصن شجرة

وأخذت تنظر لما حولها بتعال

ولم لا... أليست هي صاحبة الجلد الثمين

والتي لا يجرؤ على الصمود واقفاً من تقترب منه،

والتي تستطيع أن تنهي حياة إنسان بحركة،

والتي لكل شيء فيها ثمن... حتى سمّها؟

وبينما هي تسترجع كلّ ذلك بنشوة وكبرياء

شعرت بأنها شيء... شيء رفيع

فإذا كنت كما تلك الحية...

تعلو لأنَّك تستطيع الالتواء

يتقيك الآخرون خوفاً من سمّ لسانك

تستخدم نعمة رزقك بها الكريم لإيذاء غيرك

لا يؤمَن شرِّك رغم نعومة حديثك وابتسامتك...

ومع ذلك... تعتقد أن احترام الآخرين لك نابع من عزتك

فأنت في وهم عظيم

وإن قلت أنَّك أرقى من أن تُشبّه بتلك الحية

فأنت في وهم أعظم...

إذا كنت ترى مؤثراً في الكون غير خالقه

وحل مشكلاتك بيد عبيده

وقدرة الخلق أقرب إلى يقينك من قدرته

ويتوق قلبك لإرضاء غيره

وتتوسل نظرة محبة هو خارجها

حينها...

أنت تتشرب الذل في نفسك

وتروي به قلبك... وتعكسه في عينيك

فالمذل لا يذل إلا من اختار الظلام طريقه... وأصرّ عليه

ولم يلتفت إلى النجوم التي تغمز له في ظلمته

تلك التي تناديه ليسترشد بها إلى طريق النور

فهذا المسكين... يعرف الذل ويستشعره

ولو أظهر لكل من على الأرض... أنَّه عليّ عزيز

فلا مصدر للعزة غير القوي القدير

وكل من لا يرتبط بالعليّ... فهو في ذلّ لا محالة

ذلك لأنَّه يطلب العزة ممن هو فانٍ

وكل من هو فانٍ محتاج

وكل من هو محتاج ذليل

إلا إذا كان طلبه من الحميد الوهاب

فلو تعلّمت قلوبنا أن تخاطب الرؤوف الكريم

في فرحها وحزنها... أملها وخوفها

لَتَرَسَّخ يقيننا بأنَّه القادر على كلّ شيء

فنسأله كلَّ شيء... وأيَّ شيء

كبيرًا كان أو صغيراً

سهلاً كان أو صعباً... أو حتى مستحيلاً

فنترفع عن قاع الذل... ونتربع على قمة الخضوع للحليم

أليس هو من نسأله ورأسنا مرفوع إلى السماء؟

السميع

السميع...

يسمع السِّر... وأخفى

ما يقال... وما تضمره النفوس

حديث الأماني والمخاوف

صراخ الأرض من ظلم البشر

أنين الخائف والمظلوم

وسكوت القلب الكسير

ونحن...

لنا مع اسم السميع حياة

بأن نتعلم أن نسمع للآخرين

دون أن نضيف على ما يقولون

نكهات من مشاعرنا... أمانينا أو توقعاتنا

أو ماضينا وسبقيّاتنا

وأن نسمع لنفهم... ثم نُفهم

وبعدها نتكلم... وربما نتصرف

فلا نستطيع أن نسمع أنفسنا... ما لم نسمع للآخر

ولا أن نسمع للآخر... ما لم نسمع أنفسنا

فحين نسمع بقلوبنا... وليس فقط بآذاننا

سنعي حقيقة الأصوات بداخلنا

جميلة كانت أو نشازا... صافية كانت أو صدئة

فنسمع صوت أنانيتنا حين تصرخ

وفطرتنا حين تنادي

والذئب بداخلنا حين يعوي

وضميرنا حين يحكم

وبعدها...

سوف يكون لنا سمع أكثر حدّة

فتتعرف علينا الكائنات... وتُسمعنا حديثها أيضاً

لتخفف عنا غربتنا في هذه الدنيا

فقد نسمع عِبرة من صخرة

نصيحة من غراب

تَوَدُّدا من وردة

قصّة من نجمة

تحذيرا من قطة

أو حتى تسبيحا من شجرة

ولنا أن نتخيل... كيف ستكون أيامنا حينها؟

البصير

لم يستطع طفل أن ينتظر

ليفي أبوه بوعده بعد نجاحه

بأن يشتري له علبة ألوان جميلة

يرسم بها العالم بما يرى... وكيفما يحب

قَبَّل علبة الألوان فرحاً... وأخذ يتفحصها

ثم احتضنها ونام

فسمعها تتحدث معاً وتتجادل

كل واحدة تقول أنها هي اللون الأفضل

والأكثر إثارة وجذبا للاهتمام

فكلّ لون يقول أنّه يرمز إلى شيء مميز ويحفّزه

وأنّه الأكثر تأثيراً في الوجود

فبفقدانه يخسر العالم أكثر مما يخسر بفقدان غيره

فاحتار هذا الطفل... وفكّر

ما هي الألوان التي عليَّ أن أعيشها

أحبها... وأجتذبها؟

هل الأزرق لون العقل

أو الأرجواني لون الإلهام

أو الأصفر لون الفرح

أو الرمادي لون الحزن

أو الأحمر لون الرغبة

أو الأخضر لون الحركة

أو لون آخر... لمعنى آخر؟

سمعت الألوان حديثه

فصمتت فجأة... وتأمّلت بعضها

فتكلّم اللون الأبيض... منيباً عن الجميع

أيها الصديق الجديد

الحياة لن تكتمل إلا بالألوان معاً

فتأكّد من أن تأخذ من كلّ لون بقدر

لكي يكون الأبيض... هو مجموع كل تلك الألوان

فالأبيض لون الاعتدال والنور

ولن تستطيع أن تقيم هذا الاعتدال... ما لم تتيقن أنّ الله بصير بما تفعل

وما تفكّر... ويصوره عقلك... وتحدّثك نفسك

وما تتمنى... لك ولغيرك

وهو يرى اختيارك لألوان حياتك

وأهم من ذلك...

لأي غرض تستخدمها

هل لخدمة الجمال أم القبح؟

لترسم وروداً تبعث الأمل... أو أشواكاً تدمي الأقدام؟

وتذكر أيضاً...

أن البصير يبصر ما لا ترى... ولا تستطيع أن تتخيل

فاترك في حياتك مساحة له

ادعوه لكي يُريك ما لا تستطيع عيناك أن تبصره

لتكون ألوان حياتك بهيجة مشرقة

تُدخل البهجة والإشراق إلى قلبك

ومنه إلى من حولك... و إلى أبعد ممن حولك

فحينها لن تكون الدنيا... كما لو أنّ أقدامك لم تطأها

الحَكَم

في قرية نائية

وسط أشجار التفاح

تنقل الغراب من غصن إلى غصن

وعند باب الكوخ الصغير... ظل الببغاء يراقبه بحسرة وأسى

فهو حبيس هذا القفص منذ سنين

ولم ينسَ ذلك اليوم الذي كان يتباهى فيه على الغراب

بأن انظر إلى ألواني وهيئتي

أنا أفضل منك... وأكثر شأنًا وقيمة

فمحادثتي ولمسي متعة لكثير من الخلق

أما أنت... فأحقر الطيور

لم تكرمك الطبيعة حتى بلون

يتشاءم البشر من سوادك

لا أحد يسعى لاقتنائك... ولا يرغب برؤيتك

إن اقتربت من أحدهم... ضربك بحجر

أو دفعك لتطير وتبتعد

ولكي يُثبت للغراب حبَّ الناس له... وقف على نافذة ذلك الكوخ

بغنج ودلال

ليرى الغراب نظرة أُمنية امتلاكه في عين صاحب الكوخ

وبعدها يطير.... أو هكذا ظنّ

ردّ عليه الغراب...

أنت تعيش في وهم شنيع

تحكم بمعايير أهواء الناس وأذواقهم... وليس خالقك الحكيم

فهم لا يفقهون سبب وجودك... ولا وجودي

ولا يعرفون عنك و عنّي سوى ما يبصرون

ولا نعني لهم سوى ما يشتهون

فهم لا يعرفون ليحكموا

فكمالك لديهم بتقليدك كلمات مما يقولون

ما هي إلا صدى... لا تفهم لها معنى

جمالك يوصلك إلى أقفاصهم

تعيش فيها وحيداً... وتنام وحيدا

لا يتكلم أحد لغتك... ولا يشاركك أحد أحزانك

أما أنا... فبالرغم من سوادي وتشاؤم الناس مني

أقيم رسالة خالقي في الدنيا

ألهم دروساً في الحب والحياة

منذ أول إنسان... إلى اليوم

علّمت قابيل كيف يواري سوءة أخيه

ولازلت ألهم الناس كيف يبنون أُسرة

كيف يُحبّون ويُخلصون

فنحن نعيش معاً

نُقابل كره الناس لنا بحبنا لبعضنا ولمن يلقانا

نبني أعشاشاً ملوّنة... لنظيف بهجة لسوادنا

فأنا لست أقل شأناً منك... ولكني أقل غروراً وهوى

اغرورقت عينا الببغاء بالدموع وهو يسترجع تلك الذكريات

ولحظات قمة غروره... حين كان على نافذة الكوخ

لأنَّه لم يطر بعد ذلك أبداً

إذ يد صاحب الكوخ كانت أسرع من جناحيه

ومنذ أن أدخله القفص وأغلق الباب

صار هذا حاله كل يوم يرى فيه غرابا

يكلّم نفسه بصوت لا يسمعه سواه

أنّي أيقنت بأن الخالق هو الحَكَم الحق في كلّ شيء وأيّ شيء

وأن ما نعرف ما هو إلا كلمة من صفحة كتاب في مكتبة كبيرة

وتعلّمت بأن لا نحكم بهوى من أنفسنا أو سوانا

ونزن ما نفكّر... ونتكلّم بميزان

نُسخّر فيه كل ذرة في وجودنا... لكي لا نظلم أو نتعالى ونتعجرف

وإلاّ فقد حكمنا على أنفسنا بالسجن في أقفاص الشقاء...

وتلك حكمة... وذلك حكم... أحكم الحاكمين

العدل

في حديقة بستان...

كان صبّار يسكن بجوار شجيرة زنبق

لم يكن الصبّار يأبه للشجيرة

حتى أينعت أزهارها وتفتحت

فصار كل من يمر...

يلقي نظرة عليها... ويبتسم

وربما يتفوه بكلمات إعجاب

ولكن الصبّار لا يجتذب أحداً... ولا يبتسم له أحد

مرت أيّام وأيّام... والصبّار يفكّر مع نفسه

أين العدل في ذلك؟

نعيش معاً...

نأكل من نفس التراب... ونتمتّع بذات الشمس

ونُروى بذات الماء

لماذا لا أحصل على ما تحصل عليه؟

لماذا هي رقيقة ملوّنة... وأنا باهت تحيط بي أشواكي؟

وبينما هو كذلك...

أرسلت الزهرة عطراً فواحاً للصبّار

وقالت بتنهد وابتسامة...

وهل العدل يُحسب بالشكل ولفت الانتباه؟

وهل هو غايتنا من الوجود؟

فلا نستطيع أن نأخذ جزءًا من وجودنا... ونقيس العدل فيه

فالعدل هو مجموع كلّ شيء

قوتنا وضعفنا... جيناتنا وتاريخنا

أهلنا وظروفنا... وكل ما يحيط بنا

حتى الهواء الذي نستنشق... والأرض التي نطأ

كلّه معاً... يحقق العدل

لأنّه معاً... يجعلنا في أفضل زمان ومكان

لنكون من علينا أن نكون... وخُلقنا لنكون

وأنت يا صديقي الصبّار...

تركّز على جمال أزهاري... ولا تعرف هشاشة تكويني

قد تقلل أشواكك من جمالك... ولكنّها تعطيك الحماية وتُبعد عنك الأذى

بينما قد لا تحتمل أوراق أزهاري... نسمة ربيع رقيقة

وتسقط بلا رجعة

لك عمر طويل... وأنا أعيش موت أزهاري كل يوم

ولكن كلّ ذلك لا يهم

فلكل منا دور في الحياة

فأنت... عصارتك ترطّب الأبدان... بينما يرطب جمالي الأرواح

ونحن... مهما تكن أدوارنا

إلا أن الغاية من الحياة هي السعادة

والعدل ما هو إلا فرصنا للوصول للسعادة

وأن تتصل أرواحنا بالجمال الكوني

وتستشعر جوار الكريم المجيد

وتتصف بصفات الكمال والجمال

فلنستشعر عدل الودود الحكيم ونتيقّنه... ثم نعيشه... ونعكسه للوجود

اللطيف

حينما عصى الإنسان

قال له ربه... اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

وأعقبها بلطفه... فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى

ولم تكن تلك إلا بداية ألطاف لا متناهية

فاختار أعزّ خلقه وأجلّهم... وأعطاهم مهمة إيصال رسائله إليك

بقول جميل... وفعل أجمل

ليدعوك...

أن ارجع إليه فإنّه يحبك

وبابه مفتوح إليك

يقبلك في أيّ وقت... وبأيّ حال

لديه دواء قلبك وروحك ونفسك

يريدك سعيداً... لا شقيّاً

أَرسل لك سحابة بيضاء...

لتذكّرك كيف تكون نقياً وترتفع

وقطرات ندى على وردة حمراء...

لتعلّمك كيف ترطّب روحك بالصفاء

وفراشة... لتلهمك شوق تجربة حلاوة الذوبان في العشق

هيّأ لك سُبل دقيقة... رقيقة... ولطيفة

لتستشعر الجمال وتحياه

وأَرسل لك كتاباً لتستمتع بمعاني... تحرث قلبك

وتصل إلى أعماقه

ثمّ ترمي بذورها وتسقيها

فتنبت... وتصبح أشجاراً مورقة مثمرة

فتتحول تلك المعاني إلى حدائق غنّاء

بأزهار ملونة زاهية

عطرها يفسح الدنيا أمامك

بل ويتخطاها... ليصل إلى أماكن لا تعرفها

لترى... وتفهم... وتعي

ما يعصر قلبك حسرة

لكل لحظة من عمرك أفنيتها بعيداً عنها

فيصبح طبعك لطيفاً

ومعه كلماتك ولحن قولك وحديث قلبك

فيدعوك الآخرون لتدخل قوارب قلوبهم

لتساعدهم على ترميم ما انكسر منها

وتلهمهم معرفة اتجاه بوصلة السلام

فتعيش سروراً وانشراحاً

لن تبدّل لحظة منه... بكنوز الأرض وباطنها

الخبير

في بقعة نائية

كانت رملة تغطّ في نوم عميق

حين سمعت صوت بكاء

فاستيقظت وأخذت تلتفت حولها

فلم تر سوى أشواك جافّة ونباتات وحشية

عادت إلى النوم... وسمعت ذلك الصوت مرة أخرى

جلست وبحثت

فعرفت أن الصوت آت من نجمة في السماء

فخاطبتها الرملة بسخرية واستهزاء

وتبكين؟

يا لك من تافهة مغرورة

لديك كل شيء... تعيشين في السماء

محظوظة أنت ومحبوبة

لا يصل إليك أحد لعلوك

ومع ذلك... تتشكين وتبكين

والآن قولي لي...

كم من القرون فكّرت حتى وجدت شيئاً تبكين لأجله؟

سمعت النجمة سخرية الرملة صامتة

ثم خاطبتها...

من أين حكمت على ما في قلبي؟

وأنّ بكائي لشكوى حالي؟

فهل هناك غرور أكبر من ادعائك معرفة ما في القلوب

فالخبير فقط يعرف ما أضمر بداخلي

وما تضمر الخلائق أجمعون

وما بكائي إلا لأني أرى تناحر من على الأرض

فهم في نار خصام وغضب وقهر

يشعلون نارها... بظنون وتخمين وادعاء

ويجاهدون لإبقائها مشتعلة... بإصرار وتماد

فهم يعتقدون أنهم يفهمون دوافع الآخرين ونواياهم

ولعجبي... لا يرون إلا دوافع سوداء داكنة نتنة

وينسون أن الجليل وحده علاّم الغيوب وما في القلوب

بيده وحده الميزان

يزن النوايا وما في النفوس

وها أنت رملة صغيرة

نظرت إليَّ بإرث قديم

سخرت من دموعي

وأنت لا تعرفين ما أرى ولا كيف أعيش

اكتفيتِ بظاهر ترينه مني

وبخيال ووهم نسجه عقلك

فكيف بذلك الإنسان؟

هيهات...

لو عرف كيف ستكون الدنيا، لو سلّم أمره للطيف

ودعاه لما فيه صلاحه وخيره

وعرف أنّه لا يخبر القلوب... وقد يخطأ التقدير

لأراح عقله وقلبه من عناكب متوحشة سامة

ولَحَسن الظن بأخيه

ولترابطت القلوب معاً وتآلفت

ولاستطاع الإنسان أن يمسك يد أخيه الإنسان بمحبة

يسانده حين يتزلزل ويضعف

وبدل أن يمسك له مرآة صدئة... ليريه قبيحًا يحاول إخفاءه

يضع أمامه مرآه صافية... لتعكس جمالاً حقيقيًا بداخله

حتى ولو كان بمقدار عين نملة

فتنير له طريق الأمل... الأمل بنفسه وبالطريق

ويعرف أنّه يستطيع أن يسند يده على كتف محبّ حين يتعب

ليطير نحل المحبّة من قلب إلى قلب

ويصنع شهداً يغذي به قلوباً تذوقت مرارة البعد والهجران

لتكون هي يوماً... كتفاً لمتعب ماض في الطريق

الحليم

نادى الحق إبراهيم

طَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ

وناد الناس من البيت العتيق

أن الله اكبر...

وهذا نداء قائم إلى يوم الدين

فكلّ منّا إبراهيم... يشمله نداء الحق

يطلب منّا أن نبحث عن ربنا... حتى نصل إلى اليقين

وأن نبني قواعد بيت القلب

بمحبة المعشوق والتوكل عليه

لكي تدور حوله وتطوف... كل نيّة وفكرة وخاطرة

ولا تخرج عنه.... أبداً

وإذا شككنا أو تعثرنا

نقطع رءوس طيور الهوى... فتطمئن قلوبنا

وتتجلى لنا أنوار الحق

وندفن الشك... ونحيى

حياة خالدة متّصلة بالملكوت

فنصبح حنفاء لا نحيد عن جمال الحق

ولكي نقوم بذلك... أٌعطينا كل السّبل والوسائل

ومعه برمجة لأرواحنا... ورسائل من المعشوق

لتجذبنا إليه... بمحبة وشوق

ومع كل ذلك... نتأرجح ونَحِيد

ونمشي في طرق مختلفة... وأحيانا معاكسة

فبَدل أن نطلق نداء إبراهيم

نرى أنفسنا... إمّا في مقام نمرود

أو من يساند نمرود

أو شيطانًا أخرس يصعد على سكوته نمرود

فنطغى... أو نُعين على طغيان

ويراقبنا الحليم... في كل خطوة وهمسة

ولا يعاجلنا بما نستحق من غرورنا

تَكَبرنا وطغياننا... نسياننا وغفلتنا

فحتى في عتمة الليل

ينتظر الحليم...

صوت تائب... حتى لو كان خافتاً

ليمسح عنه سواد أفعاله

ويجنّ الليل... ويعلو صوت الغفلة مرة أخرى

والحليم حليم...

يعطينا فرصة أخرى...

وتطلع شمس الفجر

علَّنا نستيقظ... ونسمع النداء... ونكرره

لنبحث كما إبراهيم

وننادي كما إبراهيم

ونبني كما إبراهيم

ونقطع رءوس أصنامنا كما إبراهيم

ونتذوّق اليقين كما إبراهيم

فتكون النار برداً وسلما

وربما... تهب علينا نسمة لطيفة

نفهم شعاعاً من معنى الخليل

العظيم

رجعت نملة من رحلة جلب طعام لعشيرتها

جمعت حولها أخواتها لتقصّ عليهم عجيب ما رأت في يومها

فبدأت بشوق وانبهار...

بأنّي رأيت أعظم مخلوق في الوجود

هو لم يكن جبلاً... فالجبل أستطيع أن أخرقه

ولكنّي لم أستطع أن أدخل إلى هذا الشيء

توغلت في نسيج ناعم عميق

كلّما مشيت... وجدت نفسي في متاهات متتالية

كنت هكذا حتى تحرك حركة قوية

اندفعت على أثرها وسقطت بعيداً على الأرض

ثم رأيت هذا الشيء المهول يمشي ويبتعد

لا أعتقد أنّه يوجد أغرب وأعظم من هذا المخلوق

فقالت نملة حكيمة من خليّتها

بأنّ ما تتحدثين عنه يسمى دبّاً

هو مخلوق كبير... ولكنَّه ليس عظيمًا

فأنت بصغر حجمك أعظم منه في أمور كثيرة

فلك القدرة أن تعيشي وتتكيفي في كل الفصول

وهو لا يستطيع أن يكيّف درجة حرارته ليعيش الشتاء

فيختار له كهفاً ينام فيه حتى حلول الربيع

فلا عظيم سوى الله ذي القوة المتين

وكل مخلوق آخر... به من الضعف الكثير

وضعفه هذا قد يكون أبسط شيء عند مخلوق آخر ضعيف

فالإنسان ومع منزلته... ضعفه لا يعدّ ولا يحصى

ولكنّه يستطيع أن يستلهم من الحكيم عظمة

إذا تعالت روحه... تضاءلت أنانيته

وأطفأ أبا لهب بداخله

ذاك الذي يُبقي نار الكبر والحسد والكره والغرور والعناد مشتعلة

كلما أراد نسيم رحمة أن يطفئها... زادها حطباً لكي تبقى موقَدة

ويُغري من هم حوله بضياء هذا اللهب

فيحسب من سخَّر حياته للوصول إلى متعة وقتية زائلة،

وآثر الكسل والراحة والخنوع والتواكل على التفكر والتعقل والعمل،

بأن هذا الضياء نور... وأنّ دعوة كريمة له تقديراً لمكانته

فتتشابه عليه الأشياء

ثم يختار الأسهل وما يبدو له الأحلى... وقد يعتقد أنه يُحسن صنعا

فإن استطاع الإنسان أن يُعطي روحه مكانة تليق بها

فسيدرك عقله بعض المعاني لاسم العظيم

ولأنّه يفهم بعض هذه المعاني... يتواضع بداخله

مهما كان علمه ومرتبته وجاهه وما يملكه وما يُنفقه

ولا يرى لنفسه منّة على أحد

ويؤمن بأن كلّ ما لديه هو فيض من الرزاق الكريم

فيكون كالفراشة... تطير بهدوء

تُلهم من يراها التعظيم لخالقها... وليس لنفسها

الغفور

تاب... وكسر توبته

مرّات ومرّات

نقض عهوداً لا متناهية مع نفسه... ومع ربه

ووعوداً كثيرة مع آخرين

غضبه... كسر قلوب أقرب الناس إليه

وكسله... فوّت فرصًا على نفسه وأهله وطوّل عليهم الطريق

وطمعه... أزلّ قدمه في تجاوزات يخجل حين يتذكرها

وسوء ظنّه... تعدّى الناس ليصل إلى خالقه

وفي الأيّام القليلة الماضية...

كانت أخطاؤه متعددة متتالية

بعضها كبير ثقيل... وبعضها تكرّر حتى أصبح بنظره عاديًا صغيرًا

وكما كلّ مرّة... أرسل له الرؤوف الرحيم إشارة

أن ارجع...

وبخلاف ما دأب عليه...

سمع الإشارة هذه المرّة ووعاها

فتحرّك قلبه... وتفتّحت عين بصيرته

فسمع نعيق خراب... وشم رائحة دمار الإنسان الذي بداخله

ورأى أنّ احترامه لذاته قد تقزَّم لحد التشويه

فأدمعت عينه ندماً

ومعها دخل في حال يأس مرير

خاطب نفسه حائراً...

كم مرّة أتوب... وأنسى ما تبت لأجله

أعاهد ربّي... وأكسر العهد مرّة تلو الأخرى بفأس الهوى والغرور

أعتذر ممّن آذيت... وأعيد وأكرّره معهم ومع غيرهم

فبللت وجنتيه دموع نبعت من مكان بداخله عميق

سمع بكل وجوده بأن العزيز الحميد يناديه...

أن ارجع

حتى لو مضت أيّام عمرك سدى... ارجع

حتى لو أهنت روحك وجرحتها... ارجع

حتى لو تعبت من نفسك وآيست... ارجع

حتى لو كانت ذنوبك كزبد البحر...ارجع

حتى لو كسرت توبة بعد توبة... ارجع

فبابي مفتوح... ينتظرك لترجع

فلا ذنب أكبر من رحمتي... ولا يأس مع رحمتي

أحبّ التوّابين... وأحبّك تائباً

أنا من كتب على نفسه الرحمة

أنا من قال رسولي... ومن يقنط من رحمة ربّه إلا الضالون

أنا من بشّرت عبادي...

يَاعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ،

إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

أنا من أُرسل إليك إشارات وعلامات... تدعوك إليّ

أنا من أدعوك لترجع الآن

فآمن بندائي هذا... وانشر صداه في الأكوان

وارجع...

الشكور

في سكون الليل

وصمت قاع ذلك البحر

تكلمت اللؤلؤة مع صدفتها

أن يُقال...

هناك... وراء الساحل

يعيش مَن يدعونهم بشراً

يحبوني... ويأملون اقتنائي

وكعرفان لمحبتهم لي... أَوَدُّ أن أهديهم رسالة

هذا لو استطاعوا سماعي

علَّهم يفقهون... ومني يتعلمون

فأنا كنت رملة بلا قيمة

واحدة... من عدد لا يحصى من الرمال

احتميت بك... وقمتِ باحتضاني

ربيتني... وأغدقت عليَّ من خيراتك

حتى أصبحت ما أنا

لؤلؤة... أشع جمالاً

قويّة ثابتة

تغيّر شكلي... ومعها جوهري

ولأجل ذلك... أنا لك شاكرة وممتنة

فكنت شيئًا... ولكني أصبحت شيئاً آخر

وأما ذلك الإنسان...

الذي كان عدماً

خُلِق من لا شيء... وأُعطيَّ كل شيء

بعث الله له كتباً ورُسلاً... تُذَكِّره كيف يرقى

ويكون إنساناً

ليصبح لؤلؤة الكون

وإنه لن يكون كذلك... ما لم يعمل خيراً

ويعكس جمالاً... ويُفرح قلباً

ويشكر نعماً

ولعجبي...

أنّ الشَّكور يشكرهم

حين ينفقون مما أعطاهم... ويعملون لما وَفَّقَهُم

ويمشون في الطريق الذي هداهم

إنه شيء... أكبر من الكَرَم

لا مفردة له

وهذا الإنسان... كان ولا يزال

يغفل...ويغتَر

يعتقد أنه يمتلك العالم... وهو لا يملك نَفسه

ولا حتى شهيقه أو زفيره

ولو قَطَف من بستان اسم الشكور وردة

لأصبح إنساناً مختلفاً

يتكلم قلبه مع خالقه... ويسمع أسراراً

ويُذَكِّر الملائكة بِسِرّ سجدتها للإنسان

ويروي محبّة الله في قلوب الناس

ويلهمهم شَكر الخَلق والخالق

فما أروع هذا الإنسان حين يكونه

العلي

أمضى عمره يبحث عمّا يسرّه ويسعده

ولم يوفّق لذلك إلا قليلاً

فكلّما حصل على شيء... فرح به

ثم بعد فترة صغيرة صار ذلك الشيء اعتيادياً مملاً... وبحث عمّا هو أفضل منه

كلّما حلم بشيء... اعتقد ان سعادته تكمن في تحققه

ولا شيء سوى تحققه

وحين يتحقق... يبدأ الفتور يدخل قلبه

وينتظر تحقيق حلم آخر

وهكذا... يركض وراء سراب ما أن يصل إليه حتى يأس مما رأى

احتار عمّا يمكنه أن يفعل لكي يشعر بالسرور والسعادة

وباستمرار انتعاش الحياة في قلبه

بدل أن يكون كزنبرك

يتقلص وينخفص حين ينضغط... ويرتفع حين ينجلي الضغط من عليه

فمرّت إلى جانبه سحلية صغيرة

رأت حيرته فتوقفت بجانبه

فألهمته طريقة لانتعاش لا يتوقف

بأن يمضي حياته في أن يقرأ كتب خلق العلي

فكل مخلوق من طير وحيوان ونبات وجماد... وأصغر منهم وأكبر

يحمل أطناناً من كلمات ابداع الحق في خلقه

والسنن والقوانين التي تحكمه

وما يمكن أن يتعلم الإنسان منه ليسخّره في الحياة

وليرقى به ويصعد

فكل مخلوق له كتب عديدة... منقوشة بأشكال وحروف مختلفة

لا يشبه أحدها الآخر... رغم تشابه أسماء بعضها

منها كتاب التسليم لإرادة الخالق

وكتاب الإتقان في العمل لما خُلق من أجله

وكتاب تماشيه مع السُنن والقوانين الكونية

وكتاب المحبّة والتسبيح

وكتاب إلهام الإنسان الطريق

فقراءة تلك الكتب والتمعّن فيها

تضيف لقارئها بكلّ كلمة جمالاً خلاباً

وتنعش روحه وتعطّر حياته

وتلك الكتب... لا تنتهي ولا تنبض ولا تتكرر

ولا تكن مستهلكاً فقط... حتى ولو كان استهلاكًا لرقيك الإنساني

اكتب أنت أيضاً كتب حياتك

ليقرأها الناس من خلال أعمالك وأفعالك وأقوالك وحركاتك وسكناتك

فلك من العناوين المشتركة مع مخلوقات الله الأخرى الكثير

ولك كإنسان كتب أنت فقط تمتلك عناوينها وتؤلّفها

ككتاب قصّة العالم في عينيك

وكتاب العبر من السير بخطوات مصممة صلبة على الأرض

وكتاب تحريك القلوب و الهامها المحبة والشوق للحياة

وكتاب سقاية ورود السلام والعناية بها

وكتاب طريق خدمة عباد الله

وعدد لا متناه من الكتب الأخرى

كلّ كتاب منهم يحفر السعادة في قلبك وقلب من يقرؤه

فإن اشتغلت بذلك... ستقيّم كل لحظة من لحظات حياتك

وتعطيها قيمة وقدراً

تمزجها بشوق ومحبّة وشكر وأمل وانشراح

فستكون مسروراً سعيداً... حقيقة لا سراب

الكبير

لم تكن تنام قبل أن تغنّي له كلّ ليلة

كلمات وألحانًا تشوّقه لها وللدنيا

أن عزيزي حين تكون بين يدي... سوف آخذك إلى حديقة خضراء

أهزّك في أرجوحة معلّقة على شجرة صنوبر

وسأحيك لك شالاً أحمراً يحميك من البرد

ونستمع معاً لتغريد العصافير

وأُقبّلك على جبينك كلما نظرت في عيني

يسمع جنينها الأغنية كل ليلة ويبتسم

ويتخيل العالم الذي تصفه أمه

أن لا بد أن يكون معنى ذلك... أنّه سيأتي وقت

تأخذني فيه إلى مكان أستطيع أن أمدد يداي

وربما رجلاي

وقد تقصد مكاناً أسطورياً... يتسع لمد يدي ورجلي معاً

وربما أيضاً أستطيع أن أعيش في ماء أكثر

أو أستطيع أن أستدير حين أشاء

أو أن أسمع ضربات قلب أمي بصوت أعلى

فعالمه الذي يدرك... ضيقًا وماءً وظلامًا

وصوت قلب أمّه ونبضات مزاجها

فلا يستطيع خياله أن يتخطى ما يحيطه

فلو مكث هناك مائة سنة

وغنّت له أمّه... ومعها كل الأمّهات

لن يستطيع أن يتصور معنى للنور

ولا للعصفورة والشجرة والأرجوحة

فمن لا يدرك من الماء سوى سائل يحيطه

كيف سيكون للنهر والبحر والمحيط له معنى؟

ومن لم تر عيناه النّور قط... كيف يفهم للشمس معنى؟

ولا تنتهي هذه القصة حين ترى أعيننا النور

فهي رحلة مستمرة... نكملها مع الجليل الكبير

فأعمق ما نعرف عنه ونفهم ونفقه

لا يتجاوز فهم ذلك الجنين لهذا العالم

فالعليّ الكبير كبير بكرمه وجبروته وعزّته وجلاله

وكبير بوجوده وخلقه وإبداعه وحكمته

وكبير بكل ما لا نستطيع أن ندرك من أسمائه

فلو وهبنا أنفسنا ثواني معدودة كلّ مرّة نُكبّر فيها

وفسحنا للتكبير مجالاً يدخل في عقولنا... ويتّحد مع أرواحنا

لكان لكلامنا مع العظيم الحليم لحن آخر

ولخوفنا وأملنا ودعائنا شكل آخر

ولاستشعرنا أنّ العالم كلّه... بمن فيه وما فيه

ما هو إلا رملة واحدة في بطن جبل مهيب

لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً... فكيف لغيرها

فيستسلم القلب بطمأنينة

ويتوكّل على الواحد الصمد

فينشرح... ويأمن ويبتسم

الحفيظ

في حياتنا أشخاص نحبّهم... ونهتم لأمرهم

تدمع أعيننا لحزنهم... وتبتسم قلوبنا لفرحهم

نعمل ما نستطيع لنُبعد عنهم السّوء والأذى

ونودّ لو بنينا لهم بيتاً تحت جفوننا

لنحفظهم... وتكون أيامهم هانئة آمنة

وكلما رأيناهم... بحثت أعيننا في زوايا وجوههم

على أمل أن ترى فيها راحة وسعادة ومرحًا

ومع ذلك... نحن لا نستطيع أّن نحفظهم من أنفسهم

ومن الصور الموحشة التي يرسمونها في عقولهم

وعواقب نواياهم وأعمالهم

واستدراج الأيام لهم

وملاحقة صرخة مظلوم لاسترداد حق منهم

وخيبات ظنهم من أنفسهم

ومكرهم وهم آمنون من مكر الله بهم

فكلّ منهم يمسك مفاتيح حفظ نفسه بيده

والله حفيظ عليهم... وعلى ما يعملون

ولكنّنا... نستطيع أن نقوم بدور مهم لا ينتهي

لهم... ولغيرهم... وللعالم أجمع

بلا يأس أو كلل أو ملل

كأن ندعو لهم بقلب ليل

ونجتهد في أن نكون لهم قدوة فيما يستصعبون

ونلهمهم شوقاً لتغيير جوهري

ونساعدهم في فتح صفحة جديدة بيضاء

ونشجعهم ليُبصروا ألواناً مشرقة من الحياة

ونمسك لهم مرآة صغيرة...

يستطيعون من خلالها أن ينظروا انعكاساً لجمال عميق

مدفون بداخلهم أو مكبوت

غطّته الأيام بطبقات من الضعف واليأس

فنساهم في أن يتسرب الأمل في السعادة الأبدية إلى كل ذرّة من وجودهم

ويعطيهم أملاً بأنفسهم... وبأنّهم قادرون

وأملاً بخالقهم... الذي يفرح برجوعهم إليه

ويحب أولئك الذين يمسكون شعلة النور في الظلام

ليهتدي بها شخص تائه

أو حائر بين الدروب

أو مسوّف لا يرى نهاية لشيء

علّهم يرجعون... ويُمسكون شعلة النّور ليحفّزوا آخرين

وبذلك... يُحفظ استمرار إلهام المحبة والخير

إلى آخر يوم من هذه الأرض

المقيت

أرادت أن تهرب من طفولة قاسية

من أبٍ مسيطر... وأمٍ خانعة... ومجتمعٍ جاهل

فقرّرت أن تصنع من نفسها شخصيّة مختلطة

تتعلّم من أبيها بأن تكون لها الكلمة

ومن أمّها مكامن ضعف الإنسان... فتسدّها في نفسها

وأن لا تكون خاضعة لأحد ذليلة له

وتثبت لمجتمعها الذي طالما انتظرته لينصفها وأخفق... بأنّها قويّة

فتعلّمت... وكافحت... وعملت أعمالاً شاقّة

فكانت كمن يحفر الصخر بأظافره

وكان لها ما أرادت...

فجمعت مالاً واستثمرته... وصارت كما كانت تتمنّى أن تكون

فشعرت بنفسها أنّها قويّة... تملك مالاً وسلطة

وبعد سنوات طوال... جلست يوماً في تأمّل وهدوء

وأخرست الأصوات بداخلها... تلك التي جلّ همّها مساندتها للوصول لما تُريد

ولأوّل مرّة... شعرت بأنّها تستمع إلى صوت قلبها

وتأمّلت مسيرتها منذ طفولتها... تستعرض الأحداث مع نفسها

فتلمّست وجود الله الذي كان يرافقها في كلّ خطواتها

وتذكّرت لحظات ضعفها...

وكيف كانت تشعر بالأمان حين كانت تتوكّل عليه

وابتسم قلبها حين استحضرت اللحظات التي اعتقدت بأنّ لا طريق

وأنّ وجودها ضعيف في مواجهة مَن كان يبدو بأنّ له قوّة تُقهر

ولكنّ الله هيأ لها الأسباب لتنجو

فأيقن قلبها مطمئنّاً بأنّ المقيت... قويّ على كلّ شيء

فحينها... قرّرت أن تكرّس نفسها لأن تُوصل رسالة للإنسان

لكي يؤمن بأنّ القوي العزيز... هو مُعطي القوّة وهو سالبها

وأن لا ينسى...

بأن مهما علا نجمه وازدادت قوّته... فالله أقوى وأشد

وهو مَن أعطاه قوّته وقُدرته... وهيّأ لذلك الأسباب

وهو مَن يستطيع سلبها... ويهيأ لذلك الأسباب أيضاً

لكي لا ينسى... فيطغى ويتجبّر

ولا ينسب خير لديه لنفسه

ويبقى متذكّراً بأن... مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ

وأنّ الله على كلّ شيء قدير

الحسيب

عندما نضع أقدامنا على حشرة... فقط لأننا نستطيع

نطلق طرفة تسيء لشخص... فقط لنُرَفِّه عن أنفسنا

نُسمع إنساناً كلمة تُنزف قلبه...فقط لنَردَّ دَين قديم

نُسيء الظن بمخلوق... ونعتقد أننا نعرف

نكسر غصن شجرة... لتتسلى بها أيدينا

نُشَكِّك زوجاً بنوايا زوجته... لتقديم نصيحة

نَكسر قلب طفل... كنوع من التربية

نُلقي نظرة احتقار لمختلف... عرفاناً لإيماننا

نستعبد ضعيفاً... شفقة به

قد نعرف ما نفعل... أو لا نعرف

ففي كل الحالات... نحن آذينا

ولأنّنا لم نستشر قلوبنا... ولم نُراجع عقولنا

لم نلتفت للقبح المبطّن بها

وأن القبح يتحول إلى حيّات وعقارب

تنهش قلوبنا... وبعدها قبورنا

وأنّنا سنرى كل ما عملنا يوماً... في كتاب... كتبناه بكلماتنا وأعمالنا

ذلك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة

في حساب دقيق... يَعلَمه الحسيب

لا يخلصنا من ثناياه... إلا رحمة الرحيم

فحينها كيف نأمن...

بأن لا ينام طفل... دمعته تحتسبنا عند المحتسب

أو مقهور... يُوكل أمرنا إلى خالقه

أو كسير قلب... تضجّ الملائكة من صراخ صمته

فتطلب حقّه من بارئها

فهذا مقام لو نعلم ثقيل...

فلنسترجع لقلوبنا قَدَرها... ولعقولنا مكانتها

فهي ذات العقول التي وُهبت لنا... لنستكشف الحق

وبدائع الخلق

لنركب بها على السلَّم المُوصل إلى السماء

ذلك الذي كُلما ركبنا منه سلَّماً...سقطت ستارة من على قلوبنا

فتقل الحُجُب... ويزداد الصفاء

فتدخل أشعة نور الحق فيها... وتتفاعل معها

فتربط قلوبنا بعقولنا...ومنها بكل جوارحنا

فيصبح وجودنا كلّه كتلة واحدة

معجونة بميزان دقيق... يزن الفعل والعمل

والكلمة والنظرة والفكرة والخاطرة

فنقطف نجمة... مع كل خطوة

ونضيف فيها أجمل ما فينا...ونعطيها قُبلة محبة

ومن ثم... نضعها مكانها

فتتلألأ في الليالي الحالكة السوداء

لتُكلم من يريد أن يسمع أسرارها

وتُسلي وِحدة سالك طريق

وتنير طريق شريد ظَلَم نفسه

على أمل أن يحاسبنا الحسيب... يوم الحساب

بميزان أرحم الراحمين

الجليل

حاولوا معه كثيراً ليشاركهم الاختلاس

كلّ مرّة يأتون له من باب... ويسمعون منه ذات الرد

بأنه لا يمدّ يديه لما هو ليس من حقّه

فاتحدوا معاً واختلسوا

واستغلوا بساطته وطيبته ولفّقوا له تهمة رموه بها

زوّروا أوراقاً ومستندات تدينه

فتلبّسته التهمة كاملة... وهم خرجوا منها دون أن يرتاب أحد بأمرهم

وفي ظل فساد إداري وقضائي في منطقته

أغلقت الدنيا في عينه واسودّت

فتيقّن أن الظلم يحاصره من كل جانب

وأن لا مفر له ولا ملجأ ولا حيلة

وأنّه لا يمتلك أيّ وسيلة يثبت بها براءته ونزاهته

وازداد همّه همّاً... عندما عرف أنهم هددوا ابنته وأرهبوا ولده

شعر وكأنّ الجدران تضيق وتضيق... تضغط أضلاعه

وأن سقف السماء نزل حتى لامس رأسه

فانقلب حاله... وتدهورت نفسه

فما فائدة الحياة في عالم يسوده الظلم والجور

يُعفى المجرم فيه... ويُعاقب المخلص النزيه

وبينما هو غارق في سواد بحر أفكاره... لمح شعاعاً من نور

تذكّر اسم الجليل... ومعه أسماء الله الجلالية

فتواترت في ذهنه وردد بصوت عال بعض أسمائه

الملك، المنتقم، القهار، الرقيب، المهيمن، الجبّار، المتكبّر، المعز، المذل

الحكم، العدل، الحسيب، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي

المتين، المحصي، المميت، المانع، القادر، المقتدر، المتعالي

فاستغشى كلّ وجوده إحساس بأنّه ليس وحيداً

وأنَّ الرحمن الرحيم معه... وهو قادر على كل شيء

وأنَّه توعد الظالمين يوماً ثقيلا... وهو لا يخلف الميعاد

وأنَّه ينصر المظلوم... ولو بعد حين

فخرّ ساجداً بعين دامعة... وقلب مبتسم

سكنت نفسه... وخشع قلبه

وشعر بخيط من نور أوصله لخالقه... يراه لأوّل مرّه

وفتحت نافذة في قلبه على عالم جميل لم يألفه من قبل

فاستشعر سعة في نفسه... ورأى جمالاً في باطن شر أحاط به

فسخّر ارادته واستدعى همّته وحارب من أجل براءته

متوكلاً على خالقه

ومستمداً قوّة وعزماً وأملاً وانشراحاً من النسيم الذي يأتيه من تلك النافذة

ومتمسكاً بحبل النّور الذي رأى تلألؤه في قلبه

فعبر جسراً... وأصبح على ضفاف شاطئ آخر

تتساقط فيه قطرات من مطر

ابتلّ بها قلبه... وأصبح أكثر جمالاً وأعمق سلامًا

الكريم

في ذلك اليوم الذي احتجّت الملائكة بعد خلق آدم

حين قال لهم الرحمن إنّي جاعل في الأرض خليفة

لم تكن الملائكة تُدرك معنى المقام الكريم

ذلك الذي سيُعطى لهذا الخلق الجديد

ولم يعلموا بأنه يحمل نفخة من روح الرب

فهذا لم يكن مألوفاً لديهم

فاعتقدوا أنّ تقديسهم هو الأسمى

فأنّى لهم أن يعرفوا ما لم يحيطوا به علما

بأن هذا الإنسان...

يستطيع أن يستشعر حباً وعشقاً حقيقياً للواحد الأحد

ويُسخّر حياته طوعاً... ويبذل كل ما يعزّ عليه للفرد الصمد

ويكون وجوده كتلة خير... تطبع بصمة خالدة في الوجود

ويقهر رغبته مع إمكانية تحققها... حين تُغضب المنتقم الجبّار

ويوصل إرادته بإرادة خالقه... فيصبح لا يريد إلا ما يُحب العزيز الجليل

ويكون له قلب كبير... يتسع للدعاء بمحبّة لمخلوقات الرحمن الرحيم

فحين عرفت ذلك... أقرّت بأن سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا

فأمرهم بالسجود له... فسجدوا إلا إبليس

سجدوا لتلك النفخة التي أُودعت بذلك الإنسان

وأعطته شأنًا أعلى منها... وهي التي لم تعرف غير التقديس والتسبيح

وحين انطلق ذات الإنسان في دار الامتحان ليختار نهايته

قليل منهم تذكر... وكثير ما لبث أن نسي

فأصبح يتذكّر وعده لصديقه... وينسى وعده للكريم

ينزعج من نظرة غير مبالية... ولا يبالي بأنّ البصير يرى ما يفعل ويقول

يعمل ليدخر ما يؤمّن به مستقبله...

وينسى أن المستقبل أبعد بكثير من أنفاسه في هذه الدنيا

ولتأمين ذلك المستقبل... عليه أن يكون فلاحاً

يبحث عن أرض خصبة ليزرع فيها خيرًا وصلاحًا وإصلاحًا

ولو كانت تلك الأرض صغيرة... بحجم بذرة واحدة

فيحرث الأرض... ويزرع البذرة

ثم يرويها

حتى ولو لم يحصل ماء لريها... غير دموع عينيه

فإن عمل على أن يعيش متناقضاً مع غاية خَلقه

قد لا يكون مفر من سؤاله يومئذ

يا أيها الإنسان... يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ؟

ولكن... إن نظر لنفسه كلّ صباح

وذكّرها بأنها كُرِّمت بحمل تلك الروح الربانية

واختار لتلك الروح بأن تكون هي منطلقه لبدء يوم جديد

قد يُستبدل ذلك السؤال في اليوم الموعود... بسؤال آخر

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ

فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم

الرقيب

في يوم هادئ غائم

رجعت نحلة من رحلة الصباح

بعدما جمعت رحيق الورود والأزهار

دخلت خليّتها... وبدأت تعمل مع أخواتها

وما هي إلا دقائق حتى التفتت إليها إحداهن

سألتها... الرحيق ليس كما الرحيق

له رائحة مزعجة وطعم مُرّ مريب

أين كنتِ؟... وماذا جمعتِ؟

نحن صنّاع شهد... لا مكان بيننا إلا للصّفاء والنّقاء

بدأت بسرد يومها بيأس وبرود

أن اليوم كما كلّ يوم... مع اختلاف طفيف

حينما كنت أطير بحثاً عن الأزهار

تأملت الآخرين

قمت بعد أخطائهم وزلاتهم

وقد رأيت الكثير الكثير

فرأيت من يتكلم بكذب ونفاق

ومن يعمل بغش وخداع

ومن يكتب تزويرًا وشقاقًا

ومن يسمع زورًا وبهتانًا

ورأيت الكسول والحسود والحقود

فانشغلت بهم... وضجرت

وصرت أفكّر... لماذا لا يُخلصون؟

ولماذا لا يُعطون أفضل ما يستطيعون؟

ولماذا يخملون ويعبثون؟

فأكملت جولتي دون خفّة ولا رغبة

ولم أدقّق في اختيار أنقى الأزهار

ولم أمتص الرحيق بشغف ومتعة

ولم أحط على زهرة حتى طرت منها

فلم أنسجم مع وردة ولا زهرة

قاطعتها أختها سائلة...

وبماذا تختلفين عنهم؟

فهم لم يُخلصوا... وكذلك أنتِ

وهم غفلوا عن سبب وجودهم... وكذلك أنتِ

وهم لديهم أسباب يبرروا ما فعلوا... وكذلك أنتِ

فأنت أغمضت عينيك عن إشراق النهار

وفتحت عينيك لظلمة الليل

فلم تُبصر عيناك سوى الظلام في الآخرين

ولم يشغل بالك سواه

فلا عجب أن يكون نتاجك حالكاً مراً

فلو أنك انتبهت لنفسك وما تفعلين

وعلمت أنَّ الله هو الرقيب عليك... وعلى الخلائق أجمعين

لتركت أمرهم للحسيب العليم

وصرت أنت الرقيب على نفسك وما تفعلين

لكي لا تكون أخطاؤهم حجّتك... فتصبحي كما هم

فهم يكذبون ويغشون وينافقون

وحجّتهم اليأس من الخير ومما يفعل الآخرون

فدورك صناعة الشهد للشفاء

احفري ذلك في قلبك وتذكريه

واعملي له بشوق ومحبة وإخلاص

ستكون حياتك شهداً... وسيصيب الآخرين نصيب من الشفاء

وغير ذلك... اتركيه للرقيب الشهيد

المجيب

بَنَت العصفورة عشاً على الشجرة

جمعت كل قطعة منه بأمل لمستقبل مشرق

وضعت بيضها وهي مبتسمة منشرحة

مرّت الأيام وهي ترقد على بيضها

وعندما بدأ بالفقس... وسمعت صوت صغارها ورأت ملامح ريشهم

ارتجف قلبها خوفاً عليهم

فدعت بكل وجودها ليحفظهم الله... ويبعد عنهم كل مكروه

وبينما كانت تستعد لتذهب وتأتي لصغارها بطعام

هبّت ريح قوية... هزّت عشّها وأسقطته

وسقط معه صغارها

فانتشلتهم من على الأرض... ووضعتهم في زاوية آمنة

ثم بنت عشها مرة أخرى... ولكن دون لحن ولا أغنية

حزنت... وبعدها صمتت وصمتت وصمتت

لم تغن... ولم تكلّم صغارها

ضجّت من صمتها الأشجار والأزهار

فهم عاشوا معها حلمها وألحانها وأغانيها

فحدثتها شجرتها...

أن علام حزنك؟

ألم يكن دعاؤك حفظ صغارك؟

فها هي الرياح أسقطتهم من مكانهم

قبل أن يصل إليهم ذلك الثعبان الذي التف حول جذعي

واحتضنتهم أوراق الخريف على الأرض

وأعطتك الطبيعة ما تحتاجين لتبني عشّاً جديداً

فليت من يدعو... يثق أيضاً بالرؤوف

ويتوكل على الحق

ويتيقن...

بأنّه سميع... يسمع الدعاء

وأنَّ وعده... ادعوني أستجب لكم

وأنّه صادق الوعد

فلو فهم عقله ذلك وتشربه قلبه

سيقوم بما عليه أن يقوم به... بنفس منبسطة

وقلب مبتسم مشرق

ويتعامل مع الأحداث كحلقة من سلسلة الحياة

وليس كسلسلة الحياة كاملة

فحين يضع كل الحلقات معاً

سينبهر من جمال هذا العقد الذي صنعته حلقات السلسلة

وسيعرف بأنّ المجيب استجاب دعاءه

ولو بعد حين

ولو بهيئة لا يعرفها

ولو بمنحى يبدو معاكساً لما دعا

فالسميع برحمته... يستجيب لعباده بحكمته

الواسع

نامت زهرة عباد الشمس قبل الغروب

ولم تودّع الشمس قبل أن تغيب مثل كل يوم

استيقظت وكان الظلام قد حل

أخذت تبحث عن معشوقتها

فرفعت رأسها إلى السماء... فلم ترَ الشمس

ولكنّها رأت نجمة لامعة واقفة ببهاء

فغمزت لها النجمة علّها تجتذبها

فنزّلت رأسها ولم تهتم لها

وكلّما رفعت رأسها بحثا عن محبوبتها... غمزت لها النجمة مرة أخرى

وبعد أن أيقنت أنّ عليها الانتظار حتى الصباح

قررت أن لا ترفع رأسها حتى تحين ساعة اللقاء

لم تنم زهرة عبّاد الشمس تلك الليلة بانتظار الفجر

وكان بجانبها فلاح الحقل يراقبها

فقال لها... كم أغبطك أيتها الزهرة الصفراء

إنّي لسنوات أريد أن أكون كما أنت... لربّ أحبّه

ولكن غمزات الدنيا تجذبني وتلهيني... وأنسى ما كنت أبحث عنه

وما ألبث أن أتذكر... حتى أنسى مرة أخرى

وهكذا أمضي أيامي

أريد شيئاً... وأمضي في شيء آخر

لي ربّ... لا يغيب عنّي ليلاً ولا نهاراً

بل أنا الذي أغيب

هو موجود في كل مكان وزمان

واسع... أوسع من الخيال حين يجول في معنى هذه الكلمة

محبته تسع كل شيء... حتى أولئك الذين لا يحبونه

يرسل لهم من يدلّهم عليه... ويناديهم له

إن خطوت خطوة صغيرة تجاهه... فتح لي أبواباً وأبواباً

كل باب منه يوصلني إليه من جهة

تري عيني إشاراته ويسمع قلبي نداءه

ولكني بدل أن أفتح الباب وأدخل وأمشي

تعجبني تلك الأبواب... فأنشغل بها وأنسى أن أفتحها

ثم يميل قلبي لسماع إشارات من آخرين... ليس لهم صلة بمن أحب

كتلك النجمة التي غمزت لك

فأذهب في طريق آخر

آه لو تعلمين ماذا لو فتحت الباب ودخلت

فإني أرى عجباً وعجباً

أستشعر إنّي أوسع من حدود الكون

وتدخل آثار سعته في قلبي

فأكون كالبحر... لا حدود لطاقتي على الصفح والعفو

وتمر لحظاتي وأيامي محمّلة بالهدوء والسلام

ويتسع قلبي لمحبّة كل من خَلق... أينما خَلق

وتُفتح نوافذ في قلبي

استشعر من خلالها نسيم قرب... وكأني قطرة في بحر عميق

استطيع معها أن أسمع همسات تسبيح الكون

فلا يكون للحقد والحسد مكان بداخلي... كيف وقلبي منشغل بما يرى؟

وأُحسن الظن بخالقي... فلا يرتعش قلبي خوفاً من شيء أو أحد

ولأن مَثَل عطاء ربي لمن أنفق في سبيله...

كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ

وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لمن يشاء

أدعو وأعمل لأن أنفق في سبيل حُبّه... وأكون ممن يشاء

فلا تعرف روحي الفقر بعدها أبداً

ويصبح وجودي مُلهماً للناس ليسألوا الكريم من سعته ورحمته

فأكون سعيداً منشرحاً متفائلاً مُحبّاً عطوفاً

وأنشر السعادة والانشراح والتفاؤل والمحبة والعطف

ولكن أيَّتها الزهرة العاشقة... علي أن أتعلم العشق منك أولاً

الحكيم

في يوم خريفي

وعلى صخرة في حقل صغير

جلس عجوز بجانب حفيده

فقد قرر أن يغادر القرية... لينطلق إلى المدينة

حيث يبحث فيها عن النجاح والإثارة والرفاهية

اقترب الجدّ قليلاً... ثم وضع يده على كتف حفيده

وقال له بصوت محبّ عطوف

حين تبدأ حياتك الجديدة... حذارِ أن تنسى هذا الحقل

وما تعلمت منه

فكلّ شيء فيه يعلّمك مَن عليك أن تكون... ومَن لا تكون

فاحذر أن تنظر كنملة... تعتقد أن الوجود ما هو إلا ما تراه عيناك

وتأكل كدجاجة... تُغذّي أفكارك بأيّ شيء تلتقطه من هنا وهناك

وتلهث ككلب... لتجمع مالاً لأجل المال

وتعيش كضفدع... تُظهر وجودك بصوت غناء لمستنقع

فإنَّك إن فعلت... تضيف قشرة على جوهر حياتك كل ساعة

بل كل لحظة

تبعدك عن حقيقة الوجود

وما لأجله خُلقت... ومن عليك أن تكون

فتعيش في فراغ لزج

تعتقد أنك تَسبح في بحر الحرية

بينما كلّ خلية منك ملتصقة بهذا الفراغ

ولن تعرف وتستشعر إلا المُتع الحسّية

فتعيش لتأكل وتجمع وتُباهي وتُفاخر

فحينها... لن تفهم من الفصول غير بردها وحرها

ومن الأحزان غير دموعها

ومن الأحداث غير تسلسلها

ومن المشاعر غير تقلّبها

فيكون لك عقل... لا يعرف إلا الحساب

يزن ما يزيد متعتك ويبعدها عن النقصان

ويكون لك قلب... في صراع دائم مع عقلك

أو في غيبوبة هادئة

أو ربَّما تحول إلى قطعة حجرية ملساء

فاعمل على أن تزيل قشورك... ولا تضيف غيرها

لتتصل مع جوهر وجودك

وتفهم أن القلب العاشق ما هو إلا العقل المرتبط بالكون

فيكون عقلك عاشقاً للحق

وهذه مرتبة عالية جميلة... متعة لحظة منها أكبر من مجموع أي متعة جرّبت

فترى أبعد من المواقف والأحداث

وتربطها بالإنسان والإنسانية

وصلاحك... وصلاح العالم

فوَحده الحكيم من يعرف مغزى الأمور وبواطنها

وخير ما قد يبدو شراً... وشر ما قد يبدو خيراً

ولكنّك حين تحمل عقلاً عاشقاً

ستكون كل ذرّة منك مرتبطة بالكون

وتستطيع أن تلتمس شذرات من اسم الحكيم

فتصبح وجوداً نادراً

تطبع أشعة الشمس قُبلة على جبينك كل صباح

فتشعر أنك واسع بسعة أشعتها

الودود

إن كنت تريد أن تسمع عجبًا... وتعيش عجباً...

تأمّل تَوَدُّد الودود إليك

فمعَ غِناه واقتداره... يدعوك... ويتودّد إليك...

خَلق كل شيء... دعوة لك... علَّ قلبك ينجذب إليه

فكل ما هو حولك... بطاقة دعوة إليك من الودود

فهي إما وردة... تدلك عليه بجمالها

رعد... يدعوك بأن تحتمي به عند خوفك

نملة... تحفزك لتسير إليه

شجرة... تذكّرك بأنّ بابه مفتوح لرجوعك

فجر... يُحفِّز قلبك لنوره

جبل... يحركك لتتكئ على جبروته حين ضعفك

بحر... يشوِّقك لأسراره

بلبل... يناديك إلى داره بلحنه

نحلة... تدعوك لتتذوق شهد وصاله

سماء... تُعَرِّفك بأن لا حدود لرحمته

وغير ذلك الكثير الكثير...

بين خاطرة وكلمة ولحن ودمعة وابتسامة

ففي كل فرحة... مصيبة... مشكلة... أو نعمة

هناك دعوة إليك... برسالة مبطّنة... ووعد صادق

أن تعال إليَّ... أُسعِدك

أطلب مني ما تريد... أعطك وأُرضك

تقرّب إليّ خطوة... أتقرّب إليك خطوات

تَذَكرني... أتذكّرك ولا أنسك

اشكر عطائي... أشكرك وأزِد

يقول لك... أنا نعم الرّب إليك

فكن لي عبداً... أرفعك إليّ

تكلّم معي بما تشاء... وقت ما تشاء... كيفما تشاء

لحاجتك... لضيقك... لفرحك... لأيّ شيء

فأنا أحبّ أن أسمع صوتك يكلمني

ولن تجد خيراً مني مُستمعاً إليك

أَسمَع ما تقول... وما لا تقول

توكَّل عليَّ... أكفك ما تعرف من هَمَّك وما تجهل

أسكني في قلبك... أعطك أرقى معاني الحب والعشق

لتعيش جنّة واسعة... حتى لو كنت في قفص صغير

كن معي في أيامك الفانية... أسكنك نعيم الخلود

افتح كتابي... افهم كلماتي... أدلك الطريق إليَّ

طريقاً سِرّيَّاً... لك أنت فقط

فأنا الصادق... وقولي الحق

أقول لك...

أنا لك محبّ... فبحقي عليك كن لي محبّاً

بعد كل هذا التودد إليك...

اسأل قلبك... بماذا يريد أنّ يجيب الودود؟

المجيد

هو أيضاً... ككثير ممّن في هذه الدنيا

يبحث عمّا يضيف إليه شرفاً ومجداً

بحث عن ذلك في كل ما هو حوله... منذ نعومة أظافره حتى كَبر

حفر الصخر بيديه محاولاً أن يحصل عليه

ركّز على الشهادة والعلم

ثمّ على المال والفخامة في الملبس والمركب

ثم على الجاه والمنصب

بذل مجهوداً كبيراً

وفي كلّ مرّه... لم يدم شعوره الجيد عن نفسه سوى أيّام معدودة

ثم ما لبث أن شعر بالتناقض يدبّ في قلبه

فيبدأ... ويبحث من جديد

قرر أن يعيد الكرّة

مع أنّه تعب من هذا التكرار وهذا البحث

ولكنه هذه المرة قرر أن يرمي صنارته في بحر نفسه وليس خارجها

فتعجّب من الخصال الجميلة التي أخرج نماذج منها

واندهش من قوّة جمال الإنسان الغائرة فيه

لم يكن يعرف أنَّها موجودة

فهو لم يرَ هذا الجانب في نفسه قط

فكثير منها كانت نائمة غائرة

علقت بها بعض الحشائش والطفيليات أيضاً

إلا أنّها ضعيفة ضئيلة باهته

لا تقارن بذلك الجمال الذي حصل عليه

قرر أن يحيي تلك الخصال والقوى النائمة

فصارت كلماته بها وصلات لمحبّة الخالق

وسكوته إلهامًا للسكينة والهدوء

ووجوده إرساء لثقافة الكرم والعطاء

وتحكّمه في أهوائه وانفعالاته تكريساً للعزم والأمل

وعمله تحفيزاً لحبّ الخير والإتقان

ألزم نفسه بأن يمارس ذلك يوماً بعد يوم

أصبح هو شريفاً بذاته

وكلمّا تعمّقت إنسانيته... ازداد شرفاً

ذلك لأنّه أوصل نفسه بالمجيد

الكثير إحسانه وأفضاله

الجميلة أفعاله

الجزيل عطاؤه

البالغ في الكرم منتهاه

فأخذ على نفسه عهداً

بأن يكون عمله في هذه الدنيا هو تذكير الخلق...

بأن ما من شيء إلا عند الكريم خزائنه

وخزائن المجد والشرف ليس لها مفتاح سواه

وأنّ الإنسان الذي بداخلنا هو فقط من يستطيع أن ينهل من تلك الخزائن

وأن يمشي على ساحل الحياة

ويطبع خطوات جميلة نحو السمو

ليحذو الآخرين حذوها

ويعرفوا أنَّ طريق الشرف الحقيقي قابل للوصول

فقط علينا أن نخرج ما بنا من محبة وجمال وانشراح

الباعث

الباعث... يبعث لنا رسائل

يحملها لنا رُسُل وأنبياء

وأحياناً...آخرين مما خَلَق

وفي يوم البعث... يبعثنا من القبور

هو معنا... لا يغفل عنّا ولو لوهلة

يرانا ويسمع نجوى قلوبنا... في أيّ حال وفي كلّ حال

ولرحمته بنا.... يبعث لنا ما يساعدنا

لنُبصر طريق النور... ونمضي به

فهي إما رسائل للخروج من الوحل

والبُعد عن الأنانية والأنا

أو رسائل السمو والصعود

والعشق والجمال والانسجام

هي تحيط بنا من كل جانب

ولا نأخذ منها إلا بقدر أوعية قلوبنا

يبعثها الجميل... لتزداد صورتنا جمالاً يوم البعث الأكبر

فإن غرفنا منها وسمعنا... كانت صورتنا مستبشرة مبتسمة

وإن غفلنا أو تغافلنا... قد تكون صورة دانية مُكفَهرَّة

يحيطها البؤس والخجل والحسرة

وهذا لا يليق بنا

فلنتعلم بأن نستمع إليها

هي موجودة في كلّ شيء... وكلّ مكان

حتى في ثنايا الأحداث والكلمات

وحركة الزواحف وأصوات المياه

ولنتأمل ما نبعث للآخرين... ونتساءل

هل هي رسائل تيه وضياع... غدر وحسد وكُره ؟

أم رسائل سمو ومحبة... رحمة وأمل وانشراح؟

وفي كل ليلة... قبل أن ننام

لنسترجع كلّ ما بَعَثنا...

ونتأكد بأننا لم نبعث إلا جمالا

وإذا وجدنا أننا بعثنا قبيحا...

نأخذ على أنفسنا عهدا... بألا نكرره

وأن نعمل على إصلاح ما أفسدنا

وبعدها... ندعو بكلّ قلوبنا

لكلّ مَن في مشارق الأرض ومغاربها

ويحمل بداخله نقطة بيضاء

بأن يكرمه الكريم

ويساعده بأن يستمع إلى الرسائل التي تُبعث إليه

يراها.ويعمل بها

لتكون صورته يوم البعث... ناصعة مُشرقة مُستبشرة

فدعاؤنا بظهر غيب لعباد الله... سوف يشملنا معهم

لأننا ندعو الرحمن الرحيم

القوي العزيز المكين

الشهيد

انتظر يوم العيد بفارغ الصبر

ليشتري أمنية قلبه

تلك الطائرة الورقية الملوّنة التي تباع في الدّكان القريب

فهو قد بدأ بجمع مصروفه المتواضع منذ عدّة أشهر

ليستكمل ثمنها بما سيحصل من نقود العيد

مع وصية لأمه بأن تدعو له كل ليلة

ومنذ صباح العيد... بدأ يحسب نقوده كل ما انتهى من عدها

ومع الغروب اكتمل المبلغ... وطار فرحاُ واشترى طائرته الورقية

قبّلها واحتضنها... وهو يقفز فرحاً حتى وصل إلى البيت

ونامت معه حتى الصباح

استيقظ مع بدء زرقة السماء

وأخذ يركض مع أصدقائه بعيداً

فجميعهم لا يطيقون صبراً لرؤيتها تطير عالياً في السماء

وإذا بوالد صديقه يدنو منه... أوقفه وصرخ في وجهه

أن كيف تجرأت وآذيت ابني بالأمس

ولكي يلقّنه درساً لن ينساه... سحب الطائرة من يده بقوة

فتمزقت

وسط صراخ الأطفال بأن لا تفعل

ودموع صاحبها الصامتة

والذي لم تعد عيناه ترى العالم كما هو

دار في رأسه ألف سؤال وسؤال

ماذا؟ ولماذا؟ وكيف؟ وماذا بعد؟ و...

شعر بأنّ عقد ابتسامة قلبه قد انقطع... وتناثرت خرزاته

لا يدري هل يستطيع يوماً لمّها وجمعها

أم أنّ بعضها قد يضيع إلى الأبد

وأما الرجل... فاستمر في يومه كما كلّ يوم

ولِم لا... فما فعل لم يتجاوز تمزيق قطعة من ورق ملوّن

يتدلى منها خيط طويل

غافل عن أنّ الشهيد شاهد على ما دمّر وحطّم وأرعب

ما ظهر منه الآن... وما سيظهر بعد حين

وشاهد على أفكاره التي أدارها في ذهنه

وغمسها بشهوة الانتقام حتى تشبّعت

ومسح عنها خيوط الرحمة حتى قست

وشكّلت معولاً كسرت به آمال

وكلمات تحوّلت إلى سكاكين جرحت قلوباً

ونظرات لوّنت السماء الزرقاء بلون رمادي في عيون

وملامح بقيت كشبح تطارد نائماً في أحلام

فلكل منّا مَن يرصد ويكتب... كل ما نعمل ونقول ونلمّح

وهناك قلم يكتب كلّ ما يتعلق بما نفعل بالقلوب

فإحياء القلوب يُكتب بقلم مشرق جميل

ترسم ابتسامة شكر للخالق حين نقرؤه يوم الحساب

وكسر القلوب يُكتب بقلم أسود ثقيل

نستلم قائمته يوم الحساب

نقرأه ببهت وتعجب

فنقول... من أين هذا؟

فنحن لم نمزّق سوى قطعة من ورق ملوّن

يتدلى منها خيط طويل

الحق

مرض الغزال الشاب وصار يتألّم

وعرف أنّ عليه أن يتداوى من ذلك العشب

فقد تعلم ذلك من أمه قبل أن تحرره لينطلق

ولكن ذلك العشب كان بعيداً

فعليه أن يذهب وراء التّل ليحصل عليه

وهو لا يطيق البعد عن رفاقه ولو لبرهة

أدار رأسه... ورأى أعشاباً مختلفة حوله

قال في نفسه... وما الفرق؟

كلّها أعشاب لا تختلف عن بعضها

لها نفس الألوان وتنبت من نفس الأرض

فلا بدَّ أنَّها تقوم بنفس العمل أيضاً

وتُوصل لذات المقصود... وتعطي ذات النتيجة

فابتسم رضاً لفطنته

وأكل منها... فما زادته إلا ألماً وإرهاقاً

وصارت هي أيضا سبباً لركونه وبُعده عمّا فيه شفاؤه

وحال هذا الغزال كحال الإنسان

يتوق للانطلاق والحركة في الحياة دون قيود

يريد شيئاً... ويعمل ما يولّد نقيضه

فحين تصعب عليه الوسيلة... يختار أُخرى أسهل منها وأمتع

وأقرب إلى ما يحب ويهوى

ويقنع نفسه بأنَّها هي تلك

تقوم بذات الفعل... وتُوصل لذات المكان

ولكن هيهات أن تفعل... أو تُوصل

فهي برمجة الكون

وسُنّة الله التي لن تجد لها تبديلا

فغاية كلّ إنسان هي السعادة الأبدية والانشراح الدائم

ولو اختلفت تعبيراته وكلماته

وهذا لا يكون إلا من مصدر واحد... واحد فقط

الآن... وفي حياة الخلود

والمصدر هو الله الحق

والحق واحد

ولو كانت الطرق للوصول إليه بعدد أنفاس الخلائق

وللوصول له لا بدَّ من الإبحار عبر بحر القيم الإنسانية

وركوب سفينة الفطرة

لنستطيع تخطي الأمواج العاتية... والعواصف الرعدية

ونصل إلى شاطئ السلام

الذي مجرّد النظر إليه يزيل غشاوة من أعيننا

فتبصر تلألؤ تجليات جمال الجليل

وتميل آذاننا لسماع الحق... ويسهل على ألسنتنا قوله

ونستطعم ثمراته... ونساعد الآخرين على استطعامه أيضاً

ليتذوقوا هذا الشهد الذي يسقي القلب

والذي لا يرتضي بَعده شهداً غيره

فلا تجاريه حلاوة أخرى... ولو كانت امتلاك الدنيا وما فيها

فما بعد الحق إلا الضلال

والضلال حتى ولو غُلّف بأطنان من شهد... فداخله عَلقم مُر

ونحن للشهد خُلقنا... وليس للعلقم المُر

الوكيل

في تلك الساحة

تقابل كليم الله موسى ومحبّوه... مع فرعون وتابعيه

فألقوا عصيّهم... وألقى موسى عصاه

فتحولت جميعها إلى حيّات

إحداهن حقيقة... وما بقي وهم وخداع

ولم يميّز بينهما... سوى من فتح بقلبه نافذة

تسمح لنسيم الحق بالدخول

فالفاصل بين الحقيقة والوهم خيط رفيع

وقد نعتقد بأنّنا على خير حين لا تفوتنا صلاة...

مع أنَّ كلمتنا أوقعت غصّة في حلقٍ بغير حق

ونأكل تمراً... ونعتقد بأن لا يوجد من يعدّ النوى

ونبحث عن انشراح... في مكسب اختلط بدمعة مظلوم

وتمضي أيامنا بلهو... وننتظر غداً صالحاً

وأحياناً... يكون الفاصل بين الحقيقة والوهم أرفع وأصعب

لا يلاحظ دون دقّة وتأمل

وذلك حين تختلط أهواؤنا بأعمالنا

وتعصبنا بعقائدنا

وسيطرة الأنا بحبّ أنفسنا

وأكل حق باسترجاع حق

وإيذاء بريء بانتقام من قوي

وما مآله للزوال بما هو خالد دائم

فالقهّار على كل شيء وكيل

وقد يكلنا لأنفسنا لحظة

لغفلة منا أو غرور أو جهل أو بُعد

فنتفرعن ونطغى... وننسى من نكون وأين نمضي

وقد نهوي هاوية لا نستقيم بعدها أبداً

فلنتخذ العزيز وكيلا

نستشعره ونفهم رسائله كل يوم وساعة

لتسهل علينا فهم رسائله في الشدائد والمحن

فمن يكون الله وكيله... يرى حقائق الأمور

وحين عليه أن يأخذ قراراً حاسماً...

يشتري الحق بثمن صَلبه وتقطيع يديه ورجليه من خلاف

ولا يبالي... كما سحرة فرعون

ومَن أوكله الله لنفسه في تلك اللحظة...

لا يفهم من الحق سوى الشك والتخبط

والوهم والسراب والأمل الكاذب

كما فرعون... ومن شقي معه

فهل للإنسان محب أكثر من خالقه الحليم؟

وعالمٌ بحاله وضعفه أكثر من البصير العليم؟

وعارفٌ بخيره.... الرؤوف الرحيم؟

فأي شاغل للقلب يخلو من العزيز الجميل... هو وهم خالص

وأي محبّة فيها رائحة من محبّة الودود... هي حقيقة خالدة

فمن يتخذ الحق وكيلا... لا يرى إلاّ جميلا

القوي

جلست مجموعة تتسامر

كل منها يستعرض ويتباهى بتميّزه وقدرته

أحدهم بدهائه في جذب من يريد

وآخر بحيله في التمويه والتغرير

وهذا بخططه لجمع المال ومضاعفة الثروة

وذاك بتوغله مع أصحاب النفوذ وكسب الجاه

فقال آخرهم متعجباً...

ألا تقاس القوة بمن نحارب؟ وعلى من ننتصر؟

فأي قوة في الانتصار على ضعيف أو محتاج

طمّاع... غافل... أو متغافل؟

وكلّ ما تباهيتم به... جزئيات صغيرة

قد تفوقكم فيها ثعالب وأُسود وعقارب

فجوهر قوّة الإنسان شيء مختلف

هي قوة لا متناهية... يستمدها من القويّ المتين

فهو من لديه مجموع كلّ شيء

والكمال في كلّ شيء... وقوّة كلّ شيء

فلا تمضي إلا إرادته... له السلطان والغلبة

في أكبر الأشياء و أدقها

من الأكوان والشموس

حتى سقوط ورقة... ومستقر قطرة... ومكان ذرّة

بيده الوجود والعدم

وأمّا قوّة المكر والجاه والمال...

فهي لا تتعدى حبة غبار بائدة.. إزاء مجرّات خالدة

فحين تعرف أن مقدّرات الكون بيد القدير الحكيم

وما أنت إلا جزء من هذا الكون

وتتيقن أنّه المهيمن على الوجود بأكمله

ستعرف أن لا مجيب لك سواه... بيده الخير وهو على كل شيء قدير

وحين يُمسك وجودك بحبل الخالق

ويستشعر قلبك عشقه ولو للحظة

وتهيم روحك في هواه ولو لوهلة

وتذرف عيناك شوقاً لنظرة منه ولو دمعة

وتضع على طبق الإخلاص مبتسماً أعزّ ما لديك ولو مرّة

وتساعد شخصاً ليس لشيء إلا لأنّه عبده ولو بشقّ تمرة

عندها... ستتغير الكلمات في قاموس وجودك

فترى بداخلك قوّة لا يبيدها الزمن

وزمام أمور نفسك محكمة بيديك

لا تريد ولا تهوى ولا تحبّ ولا تكره إلا بإذنك

تصعد سلّم الكمال الإنساني طوعاً

وتشعر عظمة المهيمن الجبار العزيز تحتويك

ولن ترى إلا جميلا

وقد تأخذ نسمة من "كن فيكون" أيضاً

المتين

حين نزرع شجرة وجودنا في وحل الأنا والأنانيّة...

حيث لا سماء ولا مطر ولا ماء

ونرويها من ساقية الخوف والغفلة

ونسمح لديدان الشك بأن تعيش على جذورها

وأن يتطفل الطمع على جذوعها...

نكون أضعف من جناح بعوضة تحتضر

وأوهى من بيت عنكبوت مهجور

ولو امتلكنا ما على الأرض وما تحتها

وحين نزرع شجرة وجودنا تحت السماء

حيث الشمس والنور

والسحب والمطر

نرويها بماء اليقين

ودموع التوبة

ستستمد قوتها من المتين

وتقوى جذورها وتمتد

وتتغلغل في وسعة الكون

وتتشابك مع الشموس والنجوم

وتقف قويّة ثابتة

حينئذ...

لن تهزنا مصيبة ... ولو أحزنتنا

ولن نخضع لتهديد... ولو قُتلنا

ولن تستميلنا المحرّمات... ولو أغرتنا

ولن ننسى قيمنا ... ولو خسرنا

ولن يخيفنا مخلوق ... ولو ملك الدنيا

وسوف نساهم في تحرير العالم من الخوف

والعبودية والأسر

وقَبلها... تحرير أنفسنا

فسبحان الرزاق... ذو القوة المتين

الولي

تتتابنا لحظات... ساعات... أيام... أو سنوات...

نشعر فيها بالخوف يلفّنا

اليأس ينهشنا

الضياع يقودنا

الوحدة تخنقنا

الشعور بالتيه يجرفنا

الظلم يلاحقنا

الظلام يحاصرنا

غربتنا مع أنفسنا تقتلنا

هذه ...هي أضعف حالاتنا

تظهر فيها حقيقة مشاعرنا

إيماننا... وشكوكنا

فحينها... نحن على يقين بأننا لا نستطيع الصمود

ما لم نلجأ لأحد ما...

أكبر منا... وأقوى

أكثر حكمة... وقدرة

أكثر هيمنة... وسلطة

وكثيرًا ما نسقط في بحر وهم زلقٍ عميق

نبحث بداخله عن وليّ لنا ونصير

علَّه يزيح عنّا بعض بؤسنا

ويُضفي من قوته على ضعفنا

ومن بهجته على شقائنا

فنتخذ من فلان ذي البأس الشديد ولياً

أو ذاك ذي المال الوفير

أو من لديه السّلطة والرأي الأخير

أو من يستطيع أن ينخر القانون ويخترق المصير

فنسمح لقلوبنا بأن تتذوق مرارة الذل

وربما لألسنتنا أيضاً

فحين يبتسم لنا مَن ولَّينَا...استبشرنا

وإن عبس... ازداد بؤسنا

وتتسارع دقّات قلوبنا من كلماته وأفعاله

خوفاً... ورجاءً

مع أنّه لا يملك حتى شأن نفسه

ونحن ندعو ونقول...

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

وأنت "نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ"

فمَن أجَّل من الجميل وليّاً؟

فلا خير أبقى مما يُعطيه

فهو وليٌّ من يتخذونه ولياً

وعَدَهُم محبة وقرباً...

وأن يخرجهم من ظُلمة تُلامس قلوبهم وأرواحهم

إلى نور لطيف... يصلهم بحقيقة أنفسهم

وبتلك النفخة الربانية

وذلك العهد الذي قطعوه... في يوم "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ"

حين "قَالُوا بَلَى"

فذلك العهد القديم محفور بداخلنا

بقلم من نور ساطع

فمن اتخذ الجميل وليّاً

يصبح قلبه بلون ذلك النور

لا تدخله ظلمة الخوف والذّل أبدا

الحميد

في عقله فهرس للأشياء والذكريات

ومعها فهرس طويل لأشخاص

كل جزء من الفهرس يشير إلى صفحه

مكتوب في هذه الصفحه كلّ ما هو ناقص وقبيح

فأوّل ما يلفت نظره في كلّ شخص يراه... هو نقصه

وأوّل ما يركّز عليه في كلّ شيء يراه... هو قبحه

وأوّل ما يلتقط من كلّ حدث ويجعله ذكرى... هو ألمه

فعقله مستودع لأنواع النقص والقبح والألم

وذاكرته مليئة به أيضاً

فلا مكان لحبّ وشفقه في قلبه

ولا مجال لتعلّم من تجربة واستشفاف جمال بداخله

ولا سبيل لحُسن ظن أو لتفسير منصف بنظره

يعيش بؤساً في كل لحظاته

لديه عدد لا ينتهي من الأسئلة

تبدأ بلماذا... وتنتهي باعتراض على وضع مؤلم

فلماذا كلّ الناس الذين يصادفهم في حياته أشرار سيئون،

وكل شيء مصنوع بشكل رديء خاطيء،

ولا شيء موضوع في مكانه أو مجاله،

وجميع ذكريات حياته قاسية مؤلمة؟

ومع ذلك... هو لا ينتظر إلا أن تتكرّر الأيام على شاكلة سابقاتها

فحين يقابل شخصاً... يتوقع منه سوءاً ونقصاً

وإن لم يستلمه منه جاهزاً على طبق... حفر وبحث عنه بحثاً

وإن لم يحصل عليه... استعان بخياله

فيأخذ كلمة أو حركة منه... ويسترسل

يضيف عليها مقاصد ونوايا تبطّن مهانة وإيذاء

يحتار من ذاك الذي يتفاءل باليوم والغد

ومن ذاك الذي يذكر محاسن الآخرين

فيعتقد أنّه ساذج أعمى... لا يقدّر الأمور حقّ قدرها

ولا يعرف معادن الناس وما يخبئون

غافل عن أنّه هو الغارق في مستنقع السذاجة

وأنّه أعمى قلبه وأدخله في متاهات مظلمة

وأنّ العقل والقلب لا يعكس إلا ما هو مخزون فيه

فقوله وفعله وعمله وفكره يرشح نقصاً وقبحاً وتقصيراً

ويحفّز الكُره لما حوله... أفراداً وأشياء

وأدهى... أنّه يعمّق كرهّه لنفسه ولحياته ولأيّامه

فلا أحد يستطيع أن يتحمل بؤساً مخزّناً يحمله معه في يقظته ومنامه

ولا أحد يودّ أن يتواجد مع شخص حاملٍ للبؤس كهذا

فينفر من الناس... وينفرون منه

فهم يهربون من شفقته على نفسه وكُرهه لها

وانتقاده لكلّ ما هو حوله... حتى لو بتعابير خالية من الكلمات

وكلّ ذلك يعطيه اطمئنانًا بأنّه على الطريق الصحيح في اعتقاده ببؤسه

فهاهم الناس سيئون لا يتحملون مَن صبّت الحياة همومها عليه

فتوغّل في عقلك وقلبك بهدوء

وانظر القدر الذي تتشابه فيه مع هذا... فقليل منّا يخلو من شبه

فخزّن في عقلك أفضل ما عمله الآخرون... في حقّك وحقّ غيرك وحقّ أنفسهم

وأجمل ما ترى فيهم حين تلقاهم

وأفضل تجاربك وذكرياتك وما تعلمته منها

وجمال كل مخلوق وشيء... حتى لو كان كتلة من القبح في نظرك

فانظر للنقطة البيضاء حتى لو كانت مغمورة في صفحة سوداء

فإن رأيتها... اتسعت في نظرك

وانعكست على قلبك

لتصبغه بصبغة المُبهج الواسع في تعامله

"ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون"

وتعلّم عقلك أن يصبح مستودعاً للجمال والتسامح والخير

ويحمد الحميد... ويسبّح بحمده

ويهدأ قلبك وينشرح

فأنت تستحق الهدوء في قلبك... والجمال في عقلك

المحصي

سافر صديقان معاً

اتّفقا على أن يحمل كل منهما كيساً في قلبه

يجمع فيه كل شيء مُلفت يراه في طريقه

ثم يحصوا ما جمعوا

فيفوز من جمع أكثر عدداً

وبعد أن جالا معًا... رجعا

نثر كل منهما ما لديه... ليحصوا ما جمعوا

فاستغرب كل منهما مما رأى من حصيلة الآخر

فالأول... كان يحمل قطعًا ملوّنة جميلة

بأحجام وأشكال مختلفة

والثاني... قطعاً مشوّهة

داكنة مرقّطة... بألوان قاتمة

ليس فيها تناسقاً ولا انسجاماً

فسأل مندهشاً: مشينا معاً في طريق واحد

لماذا لم أصادف في طريقي ما جمع رفيقي؟

فأنا جمعت كل ما وقعت عليه عيني... وما رأيت مما لديه شيئاً

فسمع جوابه...

بأنَّ الإنسان لا يرى إلا ما يُريد أن يرى

فمن يحصي القبيح... في عمل وهيئة وخُلق وسلوك

لا يلقى إلا قبحاً... ولا يجمع إلا قبحاً

ولا يحمل إلا قبحاً

ومن يحصي الجميل... في عمل وهيئة وخُلق وسلوك

لا يلقى إلا جمالاً... ولا يجمع إلا جمالاً

ولا يحمل إلا جمالاً

فالإنسان لا يحمل إلا ما يجمع

فلا تكن ممّن يعمل على أن يُحصي أخطاء الناس...

وما لا يعجبه

وأيَّ خدمة قدّمها لأحد

وأيّ عبادة قام بها

ولكن كن ممن يحصي أخطاء نفسه...

وبركات حياته

ونِعم خالقه

والجميل من حوله

فالمحصي يحصي كلَّ ما في الوجود عدداً

فخذ قبساً منه... بأن تعيش لحظات حياتك

تحصي كلَّ ما يُذكِّرك بالمعشوق... ويقربك منه

فتتنعم روحك بعطره وذكره

فيحمد قلبك كلَّ شيء مبتسماُ

وكيف لا... فهو لا يرى إلا جميلاً

المبدئ

بكت السماء مطراً

واهتزّت الأرض عاصفة ورعداً

بعدما رأت ما فعل الخريف بأشجارها

فهو أسقط أوراقها وقتل أزهارها

واعتقدت أنّ الموت قد حلّ بأحبائها

فقررت أن تكون في حداد طوال الشتاء

وما أن بدأ الربيع... حتى نشرت الشمس دفئها وحرارتها

فابتسمت السماء... وضحكت الأرض

وأورقت الأشجار... وأشرقت الأزهار

وبدأت الحياة في الورود مرَّة أخرى

هو درس تعطيه لنا الطبيعة كل سنة

لا تفوّته أبداً

لأنَّنا بحاجه له كلّ سنة... بل وكلّ يوم

لنعرف بأنّ هناك دائماً أملاً للبدء من جديد

ولك أن تستلهم من اسم المبدئ حياة كريمة

أن تبدأ مرة أّخرى... كلّما تعثرت

سقطت... أو حتى توقّفت

أن تبدأ بشكل جديد... ولكن بإلهام من جميل قديم

وتتيقن أنّ بداخلك إنسانًا جميلاً... ينتظر أن يخرج للوجود

وأنّ بين يديك ألواناً كثيرة... تستطيع أن تضيف بها للعالم جمالاً

فحين ينقبض قلبك... تذكّر قلباً انشرح بلقائك يوماً

وابدأ بإلهام الانشراح... ولو لطفل حزين

وحين تيأس روحك... تذكّر شخصاً أعطاه وجودك أملاً

وابدأ بنشر الأمل... ولو لغريب تائه

وحين تختار السكوت خوفاً... تذكّر مَن أشعره صوتك بالأمان زمناً

وابدأ بالتحفيز للتغيير... ولو لفكرة صغيرة في عقل حائر

وحينما تكسر الهموم قلبك... تذكّر ذلك الذي بنى عشّاً في قلبك

وابدأ بالمساهمة في ترميم القلوب... ولو بقدر موطيء قدم عصفور

وحين لا ترى عيناك سوى السواد... تذكّر ذلك الذي يبتسم حين تمرّ بخاطره

وابدأ بإعطاء البسمة... ولو لمَن لا يعرف معناها

وحين تشعر بالوحدة... تذكّر مَن يتمنى لو كان بقربك الآن

وابدأ بالتواصل... ولو لعجوز وحيد ينتظر

وحين تتعب كتفاك من أعباء الحياة...

تذكّر ذلك الذي شعر بالارتياح حين وضع رأسه عليها وبكى

وابدأ بمساعدة محتاج... ولو كانت قطّة خائفة

وحين يشعر قلبك بالبرود... تذكّر مَن أعطاه وجودك دفئاً

وابدأ بتحفيز حب الحياة... ولو لقلب يبدو لك أنَّه صُنع من حجر أصم

فمع ازدهار كلّ وردة

وابتسامة كل طفل

وحركة كل فراشة

وصوت كل أذان

ابدأ شيئاً جديداً يجعلك إنساناً أجمل... ويحفّز آخر ليكون أجمل أيضاً

المعيد

المعيد... يعيد الحياة مرة أخرى

لإنسان انتهى دوره في الحياة

ويعيد الخضرة... لأوراق شجرة أرعدها الخريف

ونشاط الربيع... لدُّب نام في كهف وسط الشتاء

والحياة... لمريض يحتضر

والبهجة... لطفل جائع أكّرمه رجل جليل

فتخيل... لو أنك تأملت اسم المعيد كلّ يوم

حين تستيقظ صباحاً... وتبدأ يومك

أو حين تنام مساء... وتُنهي يومك

أو ربّما أفضل... في الوقتين معاً

وتتذكر معها عظيم ما أٌوتِيت وأٌعطِيت

والأمل الموجود في نظرات الملائكة

تلك التي تكتب ما تفعل... ومَن تكون

حينها...

قد تستطيع أن تسترجع ما دٌفن من قدراتك

وما أفقدتك الأيام من إنسانيتك

وأخذ الخوف من شجاعتك

وسلب الطمع من قناعتك

ونخر الكُره من عواطفك

وسَحَب الكذب من صفائك

ومسخت الغفلة من فطرتك

واندّس تحت التراب من مواهبك... وهي حيّة تصرخ

أن أنا من أعطاك الكريم إياي

لكي تزرع بي... بذور المحبة والانشراح

الأمل والعمل والتفاؤل

لتحصد الإنسان في ذاتك

وتقدمه هديّه لنفسك... جزاء لك

وتذهب إلى مَزارع الآخرين

وتساعدهم في حصاد إنسانهم... هديّة لهم

فلا حصاد دون استعادة ما فقدنا بداخلنا

ليعود إنساننا للوجود

ونضعه على العرش

ونُلبسه لباس الكرامة

ونضع على رأسه تاج محبّة الخالق

ونشغله بخدمه العزيز وخلقه

ونُلبسه خاتم السلطان على النفس

ونُعطِّره بعطر الإنابة والخضوع

علَّه يتشبه بما أُكرمنا لأجله...

خليفة المعيد على الأرض

المحيي

عندما ييأس قلب من الحياة

ولا يرى لسانٌ جدوى من التعبير

ويشعر أحد باليأس من الاندماج مع العالم

ويبحث شخص عن حب بلا مصلحة ولا يجده

ويخذل الإنسان نفسه مرّة بعد مرّة

ويشعر شخص بالإحباط لأنّه وقع تحت قسوة أّذى أقرب الناس إليه

ويستسلم إنسان لظروفه لتقوم هي بإدارة حياته

حينها...

قد تموت الحياة في ذلك الإنسان... أو يموت جزء منها

فالمحيي...

أحيا فيك حبّ الحياة وطاقتها وحيويتها

وحبّ الخير واستشعار الجمال

ورغبة لا تنتهي للعلم والمعرفة

وإبداعاً بعمق الكون

وأعطاك أقلامًا بعدد الأشجار... وأوراقًا بسعة السماء

لتخلق بها جمالاً... وتضيف حياة إلى الوجود

هو خيارك... إما أن تختار أن تقتل في نفسك ما أحيا فيك

أو أن تُبقي شعلته متّقدة مزدهرة

وأن تجعل ديدنك أن تتعلم الإحياء... وتُعلِّمه

وتساعد فيه

بفعل... بكلمة... أو بفكرة...

وإن لم تستطع بأيّ منها... فبدعاء صادق من قلب محب مشفق

لقلوب منكسرة

وأرواح متعبة

وطاقات مدفونة

ودعوات يائسة

وقيم خجلة

ومبادئ مقتولة

وعهود منكوثة

فإن ساهمت في إحياء أي جزء منها... ستبتسم قلوب

وتزدهر المروءة

ويكثر أولئك الذين يمسكون بذور الخير والصلاح في يد

وأباريق بها ماء المحبّة والإخلاص الصافي في يد أخرى

يفنون حياتهم في زراعة تلك البذور وريها

بالعمل والأمل والإصرار والانشراح

ليحيوا الإنسان...

ليس فقط في أنفسهم ومن حولهم

بل في العالم كلّه

المميت

رجع الجمل من رحلة طويلة شاقة بعيدة

قسا صاحبه عليه أيّاماً

فصبر عليه طوال الطريق

وراكم أكوامًا من حقد ودفنه إلى حين

وبقى ينتظر فرصة لينتقم

فواصَل خطواته بهدوء وخيلاء

وبعد أن أوصل الرجل إلى منزله... انتظر حتى يحين الوقت الموعود

لكي يصنع من هذا الحقد فأساً يفلق به رأس صاحبه

فاغتنم وقتاً... وانقضّ عليه

فقتلوا الجمل محاولة في إنقاذ الرجل

ومات الجمل... ومعه الرجل

فلنتأكد أنَّنا نميت كلّ حقد... قبل أن يتصلب

ويقتل إنساننا

وكل حسد... قبل أن يشتعل

ويحرق قلوبنا

وكل جشع... قبل أن يصبح ذئباً

وينهش نفوسنا

وكل طمع... قبل أن يستشري

ويمسخ فطرتنا

وكل غرور... قبل أن يكبر

ويقزم أرواحنا

ففي نهاية المطاف... كل شيء ميّت بأمر المميت

ولكننا سنُسأل عمّا أمتنا نحن في حياتنا

فإن أَمَتنا أملاً أو فرحة أو ابتسامة

بذرة خير... أو نية صافية

شرارة علم... أو شعلة حماس

في قلوبنا... أو في قلوب غيرنا

قد يكون علينا أن نجيب يوم الحساب

بأي ذنب قتلت؟

وإنَّه لحساب ثقيل... في يوم عسير

وإن قتلنا ما يقف في طريق رقيّنا الإنساني

وما يشوّه محبتنا لله ولخلقه

ويقلّص صبرنا... ويسحق أملنا

سنمضي خطوات إلى ذلك المكان الجميل الموعود

الذي أتى بخبره جميع الأنبياء والرسل

ووصفوا لنا ما نستطيع فهمه

وتركوا الباقي لحين تكون قلوبنا مستعدة لإدراكه

وأرواحنا لاستشفافه

فحينها سنتذوق شذرات من النعيم

على أمل يوم الوصال في جنة الخلد والنعيم

الحي

على غصن شجرة

بجانب تلك الوردة الحمراء اليانعة

وقف بلبل

وأخذ ينشد لجمال تلك الوردة... ويتغزل بدلالها

يستخدم أعذب الألحان وأرقّها

يعبّر لها عن شغفه وهيامه بها

وأنّه لا يفارقها... إلا لكي يستشعر شوق لقائها

وأنّ صوته كان ليخرس إلى الأبد... لولا نظرة منها

وبعد أن غنى طويلاً... صمت قليلاً

علّه يلتقط أنفاسه... ويعيد الغزل

ابتسمت له الوردة ابتسامة باردة

قالت له... ما أجمل أن تعيش عاشقاً

وأن يستحوذ هذا العشق على عقلك وقلبك

بل وكل جوارحك

وأن لا ترى في الوجود إلا من تحب

ولا تريد إلا وصال من تعشق

ولكنك أخطأت العنوان

فلست أنا من عليك أن تقصد

فجمالي تالف... وبهائي زائل

عمري قصير... وأجلي قريب

فما أنا إلا انعكاس جمال من هو حي سرمدي

ومعي كل من في الكون

من ذرّة صغيرة... حتى مجرّة كبيرة

كلّنا إلى زوال... ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام

فلا تجعل في قلبك مكانًا إلا لعشق الحي القيوم

واربط كلّ ما تحبّ وكلّ من تحب... بمحبّته

واربط محبّته... بكل ما تحبّ وكل من تحب

فتعيش عاشقاً منشرحاً... وهادئاً مطمئناً

حتى لو انكسر زورقك من رياح عاتية

وتاه بك وسط البحر في ظلمة الليل

ولم تسمع سوى صوت أنفاسك يختلط بالسكوت

فسيكون هذا العشق رفيقك في تلك الظلمة

ينير لك الطريق

ويرفعك درجة إنسانية أعلى

فاطرد السباع والضباع والأسود والفئران من قلبك

واغسله بدموع التوبة

وزيّنه بمصابيح عمل الخير والصلاح

ومساعدة خلق الله

وتنفّس العشق... لكي يتسع قلبك

ليحلّ الله ضيفاً عليه... ويسكن فيه

فهو ترك كلَّ ما في الأكوان

وأحبّ أن يسكن قلبك

القيّوم

اعتلّت صحته مرّة أخرى

فأخذوه إلى المستشفى

أوصلوا به أجهزة معقدة... لتحلّ محلّ عمل جزء صغير من جسمه

فكليته لم تعد تستطيع العمل

ملُقى هو على سرير أبيض... بوجه ذابل أصفر

نظر إلى نفسه... وكلّ تلك الأجهزة التي تعمل لأجله

تساءل: كلّ هذه الأجهزة تعمل عمل ذلك الجزء الصغير

والذي بدوره مرتبط بأجزاء أخرى من الصعب إدراكها

وهي مع ذلك... لا تمحو الألم ولا تشفي الاعتلال إلا وقتياً

وبلمحة سريعة... عدّ بعض ما يعرف عن وظائف جسمه

وذُهل مما مرّ بذهنه

كيف أنّ كلّ جزء من جسده يعمل تلقائيا

لا يحتاج إلى من يشغّله ويعلّمه كيف يعمل

ولا لمن يذكّره بأنّ يقوم بدوره

هو يعرف واجبه تماماً... يعمل وفقه بدقة وإتقان

نائماً كان صاحبه أو جالساً... ساكناً كان أو مشغولاً

وبينما هو يفكّر في كلّ ذلك... لمح الغروب من النافذة

فتداعت أفكاره... وانتقلت من جسده إلى الأرض والسماوات والكون

وما فيها من مجرّات ونجوم وطيور وحشرات وما هو أصغر

فاستشعرت روحه قيمومة العزيز الحكيم

وأنّه القائم بأمر الكون ومن فيه... من أكبر أمورها لأدقها

دعاه ذلك للتأمّل...

لماذا كل هذا النظام وكل هذه الدّقة؟

كلّ جزء من جسدنا له وظيفة معقّدة يقوم بها دون وعي منّا

فنتنفّس كل لحظة دون أن ننتبه

ولو تُركت لنا حركة جفوننا فقط لكي نتكفل بها

لانشغلنا بها... ولما استطعنا أن نقوم بشيء آخر غيرها

ولفقد معظم من على الأرض بصرهم في أيام

فهل من حدّ لشكر الكريم الحميد؟

الذي سخّر لنا كلّ ما يساعدنا في تأدية رسالتنا

الكون... ومعه أجسادنا بكلّ ما يحفظها

للوصول إلى السعادة الأبدية

لنتفرّغ نحن لغرس بذور تطوّرنا ورقيّنا الإنساني

الواجد

جال الحوت المتجبّر أعماق البحار

أخذ يعدّ ويحسب كل ما هو أضعف منه

من شعاب مرجانية وأسماك وزواحف بحرية

نباتات وأصداف وحيوانات برمائية

شعر بأنّ لديه سيطرة على أمور كثيرة

فأراد أن يعرف ويدرك مقامه وما حوله

فبدأ يسأل نفسه أسئلة... وكرّس حياته ليحصل على أجوبة لها

كم نوع من الأسماك أستطيع أن اصطاد دون تعب؟

وأيّ من الشعب المرجانية أستطيع أن اضرب بزعنفتي لتتهدّم؟

وكم من القريدس يرتعب ويخاف حين يراني؟

وكم من سمكة تغيّر اتجاه حركتها حين أمرّ بجانبها؟

ومئات الأسئلة التي لا تساعد حياته في شيء

ولا تضيف إليه... ولا تغيّر من واقعه شيئاً

غير أنّها تغذّي شعوره بالتعالي على مخلوقات البحر

فلا يعلم كلّ علوم وأسرار الدنيا سوى الخالق الواحد

هو الخبير العليم... الذي لا يخفى عليه شيء

وهو الغني الذي لا يفتقر... ولا يضلّ عنه شيء

فالعزيز الحكيم أتاح من علم الأكوان لمن يريد المعرفة

والأجوبة للأسئلة السهلة والصعبة ممكنة حين يسعى الإنسان لها

وشكراً لذلك وتقديراً له... عليك أن تسأل الأسئلة الصحيحة

تلك التي توضّح لك الطريق وتُنيره

والتي ترفع الشوائب من قلبك وتُنقّيه

والتي تُنادي في الخلق وتدعوه لمحبّة الخالق

والتي تفتح غطاء عن سرّ من خلق الله

والتي تربط قلوب الناس بمحبّة العباد

والتي ترسم ابتسامة في الأيام الغائمة الممطرة

هذه الأسئلة تستحق الجهد لمعرفة أجوبتها... ولو كلّفتك أيّامك

فانتبه لأسئلتك التي تسألها نفسك وغيرك

وماتسميه فضولاً أو رغبة في معرفة

فلا تشغل حيّزاً من عقلك بما لا يعنيك... وتجمع فيه ما يكون وبالاً عليك

تأكّد من أنّ أسئلتك تزيدك إدراكاً وفهماً

وتصبّ في أن تجعلك إنساناً أسمى

وحذارى من أن تصيغ أسئلتك لتستدر منها مديحاً لك

أو كسراً لكرامة شخص أو عمله

أو إثارة لريبة وشكوك في قلب أحد

أو تعكيراً لصفو في نفس مُحبّة

أو تخويفًا وتهويلاً بسوء ظنّ لأيام آتية

أو أي شيء يولّد دمعة... ولو بعد حين

فجادّة الفَلَاح طريقك

وأسئلتك تمضي بك إليه... أو تُبعدك عنه

فاشغل عقلك بالسؤال عن الأراضي الخصبة لزرع بذور الخير والصلاح

وكيفية زرع شجيرات المحبّة والتسامح والألفة

وكيفيّة ريّها والعناية بها

ومفاتيح فكّ رموز الأراضي المستعصية وتطويعها

لتكون أنت الإنسان الذي تبتسم له النجوم في الليل... والشمس في النهار

الماجد

في غابة استوائية جميلة

اجتمعت المخلوقات معاً في مكان واحد

كلّ منهم نشد نشيداً عن أمجاده

بعضهم رآه في سلوكه... وبعضهم في مهاراته

بعضهم في جماله... وبعضهم في قدراته

وبعضهم في أصله ونسبه

فالفراشات تغنّت بجمالها ورقتها

والسنوريّات بمرونتها ورشاقتها

والحشرات بتنوعها ودقتّها

وبقيت الزواحف والطيور تتحاجج وتتشاجر

فكلّ منهم يرى مجده بنسبه وأصله

وهي معاً تزعم أنّ أصولها ترجع للدينصورات الضخمة الكبيرة

تلك التي حكمت الأرض يوماً ما وهيمنت

وأما الإنسان... فهي معاً تصنع منه ماجداً

وبها يستلهم ظلاً من ظل اسم الله الماجد

فالماجد الجليل هو المتناهي في الكمال والعز

الجميل في الأوصاف والأفعال

يعامل عباده بالكرم والجود

مودّته لعباده بالغة

فكلّ منّا يحمل معه نسبه الإنساني الرفيع

ذلك الذي لا يوجد أرقى منه نسباً

فهو الذي أُعطينا إياه مع نفخة من روح الكريم الجليل

وحملته لنا فطرتنا... أيّاً كان آباؤنا وأهلنا وألواننا وديارنا

فنسبك مضمون بالرقي... والباقي مرهون بك

فاعمل لتعجن الفضيلة مع وجودك... لتختلط بها

حتى لا يكون لوجودك معنى دونها

مثل ورقة الشجر التي تحتضن الماء بكل خلاياها

ولكنك لا تستطيع أن تفصل الماء منها

ولا يخرج الماء منها إلا بجفافها... وهو موتها ونهايتها

فامتحن قلبك لما هو حسّاس ودقيق

لتعرف إذا كنت مستظلاً بظل الماجد المجيد

تعرّف على موقعك في خارطة الكون

وما يشغل عقلك حين تكون في هدوء وصمت

وما تشعر به لخلق الله في أقصى أنحاء العالم وأدناه

وما تحمله لمن تعتقد أنّهم يتنافسون معك على ما تريد لنفسك

وما تدعو به حين تشعر بالحاجة والرغبة بالدعاء

فلا تسمح ليوم من أيّام عمرك أن يمضي دون تأمّل اسم الماجد

وفي كلّ مرّة تتأمله... عليك أن تمضي عمقاً في نفسك

ووسعاً في علاقتك بالكون

وتكون بين هذين الاثنين... حتى آخر نَفَس يدخل وجودك

فبكلّ عمق وسعة... أنت تجتاح حلقة من حلقات الرقي

وتذهب لأخرى

وكلّ حلقة... لها طعم مختلف وألوان مختلفة وفهم مختلف ونوافذ مختلفة

وفي كلّ حلقة... سيجتاح وجودك متعة أجمل للحياة وتقديراً للوجود

ويكون جلّ تفكير قلبك...

مع كلّ هذه النعم التي لا تخطر على بال...

كيف عساني أن أحمدك وأشكرك يا رحمن يا كريم يا جليل؟

الواحد

الواحدُ الأحد... تعجزُ عن إدراكه العقول

وفهمه الأذهان... وتصوّره الخيال

فليس له شبيه ولا مثيل... وليس له ثان ولا تكرار

فاستلهم من الواحد...

أن تكون في هذه الدنيا بلا تكرار

فلا تصبح مثل أغلب الناس

يأتون إلى هذه الدنيا... ويرحلون

ولا تتعدى أحداث حياتهم هذين الحدثين

وبين هذا الحدث وذاك... هم ليسوا سوى تكرار لمكررات

استمع إلى أصابعك...فهي تكلمك كلّ يوم

بأنّ الواحد وضع بك من اسمه شيئاً

بأن لك بصمة فريدة

صغيرة بحجمها... كبيرة بإعجازها

لا يمتلكها غيرك

ومع ذلك... هي ليست إلا صورة خارجية لبصمتك الداخلية

لا مثيل لها

تجيبك عن سؤال...لماذا أنا هنا؟

فالتكرار عبث... وجَلَّ الواحد عن العبث

فكلُ منّا نسخة فريدة... لدينا ما ليس لأحد

نضع بها حجر إعمار هذه الأرض

حجر لا نملكه إلا نحن... نحن فقط... وليس غيرنا

فما يمكن أن نضيفه للعالم بأيدينا

لا تقوى عليه يد أخرى

لأنَّ أيدينا صُنعَت خصيصاً له

وحتى لو أضاف الآخرون ما يشبهه

فهو بالتأكيد... ليس هو أبدًا

فاعرف قَدر نفسك... وفكر في خياراتك

فإمّا أن تكون شيئاً على هامش الحياة

لا تأبه بك حتى ورقة خريف صفراء ساقطة

أو تكون أعجوبة الكون... وتزرع بصماتك في القلوب والنفوس

والأيام والدهر والعصور

فتتذكرك النجوم في السماء كل ليلة

وترسل لك ابتسامة... حتى بعد أن تصبح ترابًا

فهي تجتمع... لتُذكّر الإنسان

أن مكانك أعلى من مكاني

ووجودك أرفع من وجودي

وشأنك أكبر من شأني

وما عليك... إلا أن تؤمن بأنَّك نسخة فريدة

وتسمح لبصماتك أن تُطبَع في العالم

فلا تتوكل على غيرك ولا تعتمد... لتقويم اعوجاج

أو لتسكين قلب خائف... أو لإضافة ضياء

فكل مخلوقات الله خُلقت لغاية

لتقوم بدور... وتفعل شيئاً

وتضيف جمالا...أو تساعد من يريد أن يضيف جمالا

فكن أنت الجمال... واعكس الجمال

فتكون أبهى من الجمال

ولكن بحلّة فريدة... ليس لها مثيل

الصَّمد

منذ أن تزوّجا لأكثر من عقد... لم ينفكّا يتشاجران

كلّ منهما يُريد إثبات أحقّيته في كلّ شيء... وأيّ شيء

كلّ حدث هو قابل للجدال والاختلاف والخلاف

وبعد الجدال هناك خصام

يبتدؤه المنتصر... ويتبعه الآخر

وفي هذه الفترة... يعمل كلّ منهما ما يستطيع لكي يكتفي ذاتياً

مادّياً... ومعنويّاً... وعاطفيّاً

لكي يُقنع شريكه بأنّه لا يحتاج لأحد... وهو من ضمنهم

مرّت السنوات

تيقّن كلّ منهما بأنّ لا غنى له عن الآخرين

فهو بحاجة لهم لكلّ ما ييسّر حياته اليوميّة

فقررا أن يضعا جلّ جهدهما لإثبات غناهما عن بعضهما

ولعجبهما... فكلاهما استغنى عن الآخر في أمور كثيرة

ولكن... كلاهما كان يحتاج شيء واحد من شريكه

الإقرار منه على اقتناعه بأنه غنيّ عنه

فما سعوا إليه لن يكن له معنى إذا لم يلحظه الآخر ويقرّه... ولو في نفسه

وهذا حال كلّ من له وجود في هذه الدنيا

فلا غنى لمخلوق عن مخلوق مثله... أو أضعف منه

فالحياة مصمَّمة على مبدأ التشارك والتكافل والأخذ والعطاء

ولا تستطيع حتى الذّرة أن تستمر منفردة

فتبحث عن ذرّة تناسبها لتتحد معها

والإنسان من أكثر المخلوقات حاجة لغَيره

فيصعب عليه البقاء على قيد الحياة إذا لم تستلمه يد حنون حين ولادته

فهو في طفولته من أضعف المخلوقات... وأكثرها اعتماديّة

ويبقى يبحث عن الحبّ والعطف طوال حياته... وإن اختلف نوعه مع تقدّم عمره

ويحتاج لمن يُساهم في عمل مسكنه ومأكله وملبسه وكلّ ما يستهلكه

وهو بحاجة لأن يثبت وجوده وأهمّيته... لنفسه وللآخرين

ويحتاج للأنس والألفة...

ووحده الله الصمد

الذي لم يلد ولم يولد... ولم يكن له كفواً أحد

هو الغني... الذي لا يحتاج لأحد

الكامل... الذي لا نقص فيه

بل الوجود وما فيه من صنعه وتدبيره

لم يخلق الخلق لحاجة منه... بل لتناهي لطفه وقدرته

فلنستلهم من اسم الصمد التواضع والعرفان

وتقدير النعم... وحمد الله... وشكر الخلق

ولا نرى لأنفسنا منّة على أحد حين نُعطي

فما نأخذه من الحياة لا يُعدّ ولا يُحصى

ولو أعطينا ما أعطينا... فيبقى ذرّة صغيرة مقابل ما نأخذ

فلنُعطي... وليكون ذلك ديدننا في الحياة

ونشكر الله ونمتنّ له

في كلّ مرّة نوَفّق لأن نُعطي... يسيراً كان ذلك العطاء أم كبيراً

علّنا نستطيع شكر بعض ما نأخذ

القادر

في نقطة بعيدة من هذا الكون

نظرت مجرّة لنفسها

وتأمّلت عظمتها وسعتها وجلالها

فانبهرت... وكأنَّها ترى نفسها لأول مرة

فكّرت مع نفسها

ملايين السنين... وأنا أدور في هذا الاتجاه

وتدور معي مليارات النجوم التي أحتضنها

وتلك الثقوب السوداء... التي تبتلع كل شيء يقترب منها

حتى لو كان ضوءًا عابراً

ماذا لو استبدَلت نجمة مكان أخرى؟

أو أرسَلت شيئاً إلى تلك الثقوب... أو مَنعت؟

أو غيّرت من اتجاه دوران أصغر شمس فيها... ولو للحظة؟

حاوَلت... ولكنها لم تستطع

فعِقد نَظم تلك المجرة المهولة يختل

فكلٌ نجمة وشمس وقمر... في مكان متناهي الدقة

تتبع سنناً وقوانين... وضَعَها القدير العليم

فهو من خلق هذا الكون الفسيح الذي لا يدركه عقل بشر

ولا يتصوره خيال أحد

والحكيم...

كما خلق الكون بكل ذرة فيه بقدرته

وضع سننه وقوانينه وأحكمها أيضاً بقدرته

والإنسان جزء من هذا الكون

لنفسه وروحه سنن وقوانين تحكمها... كما لجسمه

ومن سننه أنّه لن يسعد أو ينعم... ما لم يتناغم مع ما خُلق لأجله

ومع النفخة الربّانية التي أُودعت فيه

فطرة الله التي فطر الناس عليها

لا يستقيم إلا بها... ولا تسكن روحه إلا معها

ولو التفَّ على نفسه وحوّلها

فهي كذلك... منذ أول يوم من حياته حتى آخره

بل منذ بدء الخلق... حتى نهايته

فلن تجد لسنة الله تبديلاً... ولن تجد لسنة الله تحويلا

فهي جارية فينا

عرفنا أم لم نعرف... قبلنا أم لم نقبل

خُلقنا جميعاً نتوق للسعادة والمحبّة والخلود

وهناك مكان واحد نصل فيه لأعلى تلك المراتب

حيث لقاء المعشوق

ومع أنّ كل منّا يسلك طريقًا مختلفًا للوصول إلى هناك

إلا أنّ سنّته تقتضي أن لا مركب يوصلنا غير فطرتنا

وإن اخترنا مركباً غيره ... فسيأخذنا على الطريق الخطأ

الذي يوصلنا للمكان الخطأ

مكان ليس به رائحة من السعادة والمحبّة

بل شقاء وبؤس ودموع

فلو تأمّلنا كلّ مرّة نقرأ فيها كتاب المعشوق

لسمعناه ينادي... أن تعال إليّ

أنا خالقك... أعرف بك منك

اسلك طريقك الآن

لديك المركب... والمصباح الذي ينير إليك الطريق

ومع كلّ قدرتي وجبروتي

أحبّ أن ألقاك

المقتدر

في فجر يوم جديد

بعد أن نادى المؤذن القلوب لتناجي المعشوق

مرّت رياح لطيفة منعشه

حملت معها سحبًا بيضاء خفيفة

تخللتها صفحات من زرقة السماء... وسلام من الشمس

جالت مدناً وقرى... تنظر إلى حركة الناس من بعد سكون الليل

وتسمع زقزقة العصافير وصهيل الخيول

تأملت...

كيف أوجد الخالق في كل هؤلاء العزم على الحركة؟

وكيف هم مختلفون بأشكالهم وأصلهم تراب؟

وكيف تنشق الأرض لتنبت حياة خضراء بعد موت؟

وكيف تمشي الدودة تحت الأرض واثقة بأنّ خالقها لن ينساها؟

وهذا الإنسان... الذي سرعان ما نسي من يكون

كيف طغى... وألبس نفسه رداء ليس رداءه

اعتقد أنّه مدير الأرض... ومالكها

وصاحب الكلمة فيها... ومدَبرها

فصنع أسماء جميلة للظلم... وتمادى فيه

واحتال...حتى برر لنفسه سرقة إنسانيته

وانغمس في المتعة حتى باع كلّ شيء لأجلها... حتى نفسه

واخترع أنواعاً من الدجل والكذب... حتى حار الشيطان فيه

اعتقد أنه مقتدر... ونسى أنّ المقتدر مَن بيده ملكوت السماوات والأرض

وهو عادل... لا يرضى بالظلم

وثمن الظلم سوف يُدفع الآن... وبعد حين

ثمن باهظ... لا يقوى عليه مخلوق

لنأخذ من الرياح والسحاب والشمس تذكيراً

في أيّ لحظة نشعر بها بقدرتنا واقتدارنا في شيء

بأن نفكّر ملياً...قبل أن نقوم بأي شيء

ونتأكد... بأنّنا لا نظلم أحداً ولو بمقدار رملة

بكلمة... حركة... أو حتى فكرة

فالظلم ظلمات مركبة

تطغى على بياض قلوبنا... حتى تمسحها

وقلوبنا... خُلقت لتكون بيوت للرحمن

والرحمن... ضياء ونور

فلنسمح لقلوبنا بأن تستقبل هذا النور

ولا نكسيها بسواد الظلم والظلمات

لنشعر بالاقتدار

اقتدار حقيقي

مستمدّ من المقتدر... الذي بيده ملكوت كل شيء

على أمل أن نكون... في اليوم الموعود

فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ

المقدم

قبل أن يحلّ ضيفاً على هذه الدنيا

أودعوا فيه ماسة سماوية... لها شكل فريد

كل يوم تغني لحنًا جديدًا... لأغنية قديمة

تدعوه لأن يُخرجها من قوقعتها... ويصقلها

ثم يضعها في المكان الذي خُصّص لها... منذ زمن بعيد

منذ يوم أخذ العهود

فهناك زاوية من هذا العالم

لا تُضاء إلا بانعكاس نور من الماسة التي لديه

وشرّ... أكثر ما يخاف حدّ شفرتها

وخير... يشتاق للظهور أول ما يراها

وقلب حزين... يبتسم مع بريق من لمعانها

وحين كبر...

انشغل بكل شيء... ونسي الماسة

ولكنها لم تنسه

ظلّت تغني له

علّه يتذكر... ويخلصها من سجنها

ولكنه مشغول دائماً... مشغول بأمور يعتقد بأنّها وقتية

سرعان ما تنتهي

فيلتفت لصوتها الذي يُذكره بالحنين إلى السماء

ويطمئنها... أن لا تقلقي

سأقدم أمورًا صغيرة عليك ... وسأرجع

وأن ذلك اليوم قريب

وتسحبه الدنيا معها... وتستمر

يلتفت أحياناً ليرى أّين هو

وأحياناً ينجرف معها حيث تأخذه

والماسة تختنق... وتصرخ وتلتمس

أن لو قدّمتني لوجدت ما يرضيك... ولسهّلت عليك ما تريد

وأزلت عنك عذابك وحيرتك

أعطني أولوية في قلبك وعقلك وحياتك

ولا تؤخر ندائي

ولا تقدّم عليّ غيري... ولو لمرّة

فالكريم الوهاب... قدّم كلّ سبل الخير والصلاح والإصلاح

وأخَّر كلّ ما يجلب لك الشقاء... ولو كنت تستحقه

وأخَّر نهايتك... ليعطيك فرصة أخرى

علّك تختار أنت أولوياتك... ولا تختارك هي

وتنظّف أقدامك من الوحل

وتزيل الصدأ من جوانب قلبك

وتقدّر الحياة

وتُخرج تلك الماسة قبل أن تموت

وتضعها في المكان الذي لا يملؤه أحدً غيرك

وإن لم تضعها في مكانها

سوف يأتي آخرون... ويضعون ماساتهم

ولكن... سيكون فراغً لن يمتليء أبداً

ما لم تقرّر أن تظهر للوجود ماستك

ليصبح العالم بها أكثر انشراحاً

المؤخر

في بحيرة ماء عذب

وضع اليعسوب بيوضه تحت الرمال

على أمل أن تخرج منها يعاسيب ملوّنه

تطير وتجول الأجواء بخفة ومرح

مرّت الأيّام... وتحولت البيوض إلى حوريات

ثم مضت أيّام وشهور

وهم لا يزالون كما هم... يعيشون في الماء

يطرحون جلودا ويلبسون أخرى

يصبحون ويمسون... بانتظار اليوم الموعود

ذلك اليوم الذي تلامس فيه أجنحتهم السماء

وبعد مرور عام.... تذمّرت إحداهن

وقالت بإصرار

لنذهب على تلك الصخرة... أو جذع تلك الشجرة

وننزع جلودنا هناك

إني رأيت بأمّ عيني

من ينزعونه هناك... تكون لهم أجنة يعانقون بها السماء

لم تنفع جهود رفيقاتها بأن لم يحن الوقت بعد

فهي لم تعرف مبرراً لما يقولون... سوى الغفلة والغباء

فقررت أن تذهب لتلك الشجرة الصغيرة

وأعين رفيقاتها تودعها بأسى

وبدأت بالصعود على جذعها حتى كلّت

تفتّت جلدها... وانتظرت لتطير

ولكنها لم تطر

فأجنحتها مشوّهه ناقصة غير مكتملة

وفيما هي تتأمل أجنحتها... خطفها طير جائع

واختفت إلى الأبد

لم تنسَ تلك الحوريات هذه الصغيرة

وصارت قصتها تروى لكل حوريّة تخرج من بيضة

ومعها ترانيم...

بأن ألطاف الخالق لا تعدّ ولا تحصى

فهو يحتوينا برحمته وحكمته

فكم دمعت أعين لدعاء لم يُستجب

وبعد حين... عندما تكتمل صورة الزمان والمكان

ونعلم ما لم نكن نعلم... ونعرف ما لم نكن نعرف

نتيقن بأن التأخير لم يكن إلا لطفًا ورحمة

فتدمع ذات الأعين مرة أخرى... شكراً لتأخير استجابة ذلك الدعاء

فالسميع البصير يعرف لحظاتنا... ساعاتنا وأيّامنا وسنواتنا

فقد يؤخر فتح باب بحكمته

ولكنه يفتح أبواباً أخرى بفضله ورحمته

فهو العزيز الحكيم

الأوّل

قبل أن يُخلَق الإنسان

الطيور والأشجار والأرض والأفلاك

كان الحق موجوداً... ولا شيء سواه

منذ الأزل...

ذاك الذي ليس قَبله وقت وزمن

فلم يكن حينها للوقت والزمن معنى

كان العزيز موجوداً... وأراد أن يخلق الوجود

ولأنَّه أراد... ولأنَّه يستطيع... خَلَق

خَلق الوجود دون أخطاء

بمنتهى الدقة و الإبداع

خَلقٌ له غاية... مُتناسق مُنسجم مُنظَّم

صبَّ عليه من جماله وروعته

فصار كل شيء يَدُلُّ عليه

فلنأخذ قبساً من الأوّل

ونرى ماذا نستطيع أن نخلق

لنُضيف خيراً... ونكون خيراً

وأن نعمل لذلك الخير...

وأن يكون عملنا كلّ يوم...هو لشيء جديد

لم يكن موجوداً قبلنا... نضع به من أنفسنا

ومن أرواحنا وجهودنا ووقتنا وطاقتنا

ونُضَحّي من أجله... بأعزّ ما نملك

بجد وإخلاص وانشراح

فنقوم بعمل متقَن دقيق ومُبدع... ليس به أثر من رائحة الكسل

فرائحة الكسل نتنة... أنتن من جيفة ميّتة في صحراء وعرة

لأنَّ الكسل هو موت أجزاء من إرادتنا... أو ربّما كلّها

ونحن نحمل هذه الميتة معنا... أينما ذهبنا

وقد نتعوَّد على رائحتها... لأننا تشبَّعنَا منها

ولكنها.... تبقى نتنة مزعجة

يستشعرها من لهم قلب منير

وأحياناً... وربما دائماً...

لا نسمح لهم بمساعدتنا لإحياء إرادتنا

لأنّهم قد يُربكون إحساسنا الكاذب بالراحة

فندافع عن أنفسنا لأنفسنا... ولهم أيضاً

فنستبشر حين يتركونا.. .ونعتقد بأنَّنا انتصرنا

ولكن هيهات... ذلك لا يحيي الموتى

فلنأخذ قراراً حاسماً بكل ذرّة من وجودنا

في هذه الفترة من خط زمن مسيرتنا في الحياة... وليس غداً ولا بعد غد

أن نحيي إرادتنا... كاملة غير منقوصة

وأن نخلق شيئاً جميلاً رائعاً... يُرشدُ الخلق إلى الخالق

يُحيي قلباً... أو يُحفّز خيراً

لم يكن موجوداً... نصنعه نحن

نضع به من أنفسنا... ليدُلَّ علينا

ويُكتب في ذاكرة الأيام

فلأجل ذلك خُلقنا... لنقوم بالمعجزات الصغيرة والكبيرة

فنحن قادرون... وإذا لم نُصدّق...

لنسأل أنفسنا...

علام سجدت الملائكة للإنسان؟

الآخر

ظلت تبكي طوال الليل حتى نامت

فأبوها رفض أن يعطيها نقوداً

وهي تريد أن تساهم في معونة الشتاء للفقراء في المدرسة

شرح لها والدها بأنّ وضعه المالي ضعيف

وإنّه ملزم بمساعدة جارهم الفقير الذي له من العيال الكثير

وإعطاؤها ذلك المبلغ يعني أن يبقى الجار محروماً

فلم تستطع جميع محاولاتها إقناع والدها في العدول عن رأيه

وعندما أدركت أن لا فائدة من المحاولة... انخطرت في البكاء

واتهمته بأنّه لا يحبّ مساعدة الفقراء

نهضت من فراشها صباحاً رافضة الذهاب إلى المدرسة

توسّلت بحجج مختلفة

ولأنّها ليست حقيقية... لم تصمد أمام إصرار والدتها

فانهارت... وأخبرت أمها بأنّها لا تستطيع أن تذهب إلى المدرسة

لأنّها تحدّت صديقاتها بأنّها ستكون أكرم منهن

وستساهم في معونة الشتاء أكثر منهن

فذكّرتها أمها منبهة إيّاها...

بأنّ النقطة التي ينتهي عندها ذلك البكاء والإصرار إذن...

هي التباهي أمام الصديقات وليس الإحسان للفقراء

فسمحت لها بألا تذهب للمدرسة ذلك اليوم

فهي أرادت أن تتكلم معها وتعلمها أهمّ درس في الحياة

بأن من السهل أن نتوهّم بأن أعمالنا جيدة خالصة

يصل منتهاها إلى الله ورضاه

ولكن هناك طريقة لاختبار ذلك

بأن يكون اسم الآخر حاضراً في أذهاننا في كل عمل وقرار

فالله هو الآخر بعد فناء الأشياء... لا شريك له ولا شيء معه

نسأل أنفسنا: ما هي آخر نقطة ينتهي إليه هذا العمل،

أو سلسلة الأفكار تلك،

أو هذه الكلمات... أو ذاك الانتقاد؟

فإذا كان آخرها يصل إلى الله

فقد يَعبر من امتحان الإخلاص... وقد لا يَعبر

لأنّه قد يختلط بأشياء أخرى

تصيّره مثل كبسولات سامة مرّة سوداء... مغطاة بسكّر نقي

تبدو صافية... ولكنها تبطّن منفعة أو جاهًا أو هوى

أو حتى نشوة عُجب بأننا طيّبون خيّرون

أو ربما بأنّنا أفضل من الآخرين

أو أي شعور أو فكرة ليست خالصة للعزيز الحميد

فلنقتطع جزءًا من حياتنا كلّ يوم لنختبر آخر نقطة في كلّ شيء

حتى في غاية وجودنا

فلو حظينا بقليل من عمل أو نية أو فكر خالص مُخلص

فإنّنا سنمضي في مسير يصعد نحو الكمال

ونرى بُعداً آخرً من أنفسنا وقدراتنا وإنسانيتنا

فنضع بصمات جميلة في الوجود

ومع كل بصمة... نزداد سمواً وجمالاً واشراقاً وانشراحاً

الظاهر

الأفلاك كلّها... مظهر من مظاهر الجميل

الكون وما فيه... يكلمك عنه ويٌلهمك ذِكره

كلّ شيء... في كلّ مكان وكلّ زمان

فالوردة... تتحدث عن جماله وتلهمك إياه

الكواكب... قدرته

الحشرة... إبداعه

السماء... علوّه

الطفل... رحمته

الهواء... إحاطته

الجبل... جبروته

البحر... سعته

الشمس... نوره

الشجرة... اقتداره

التراب... ملكوته

الماء... كرمه

وأنت أيضاً أيَّها الإنسان

كلّ قطعة من جسدك ونفسك وأفكارك

تتحدث... وتُلهِم

ففكّر بوعي في كلّ لحظة

ماذا تريد أن تُلهِم نفسك... ومن يراك

يسمع كلماتك... أو يُراقب أفعالك؟

هل تريد أن يتذكر رحمة الرحيم

كرم الكريم... أم هبة الوهاب؟

فلا مكان ولا زمان يخلو من الله

ولكنه القلب الذي لا يريد أن يرى أو يسمع

ولا حتى أن يفقه

فالسمكة قد لا تعرف أنَّها في الماء

لأنَّها محاطة به... لدرجة أنَّها قد ترى كلَّ شيء

حتى تلك السمكة الصغيرة البعيدة

ولكنها لا تفقه أنَّها في الماء

فلا تصبح كالذي يموت عطشاً... وهو وسط نهر جار صاف

فحين تشرق الشمس كل يوم...

سواء كانت تحت الغيوم أم لم تكن

تَحَمل كلّ شعاع يصلك

دعوة لسؤال... وكلمة صفاء

هل رأيت من يمسك شمعة وسط النهار... ويبحث بها عن نور الشمس؟

لا تكن أنّت هو

الباطن

في ذلك اليوم...

سجدت الملائكة لآدم

إلا إبليس... أبى واستكبر

حيث لم يرَ في الإنسان سوى أنَّه خُلق من طين

ولم يدرك باطنه الذي قدسته نفخة من روح الرب

وانتهى ذلك اليوم...

وتوالت الأيام والعصور والدهور

ولازال من الناس من ينظر لنفسه كما نظر إليه الشيطان

لا يركز سوى على ظاهره... ويهمل باطنه

ولا يرى ما تحمل روحه من كمالات

تنتظر لتظهر إلى الوجود... وتلوّن الكون

فالخبير الحكيم... تعجز عن إدراك كنهه العقول

يعلم ما ظهر وما بطن من الوجود... وما وراء الوجود

فاستلِهم من اسم الباطن بصيرة

استمع إلى كلماتك التي تقولها لنفسك... ولغيرك

وأعمالك وفنونك وحركاتك وسكناتك وهمساتك

فإنّ تحوّلَت إلى أذى أو دمعة أو بؤس

فإنَّك بعيد عن روحك وعليك أن تتقرب منها وتعرفها

وتعيش بسلام معها

علّ نفسك تتلوّن بلون روحك... وتستنير

وإن تحوّلت كلماتك وأعمالك وفنونك وحركاتك وسكناتك وهمساتك إلى نور

يضيف عدلا أو ابتسامة للعالم... ولو بقدر ذرّة صغيرة

فإنّك قريب من روحك

تتفتح بصيرتك شيئاً فشيئاً

لتتفهم حقيقة المعاني

وتميّز بين القبح والجمال

حتى حين يكون مغلفاً بغلاف سميك يغطّيه

أو غلافاً رقيقاً مزخرفاً يضيع ملامحه

وتكون نظرتك لنفسك كما أراد لك الرحمن

وتصبح نفسك مرآة لروحك

تعكس كلَّ جمال وكمال أراده الله لك فيها

وتتحول إلى أعمال وأفعال وكلمات

فتساعد الناس لكي يعرفوا أنفسهم كما عرّفهم الرحمن... لا الشيطان

فيؤمنوا بأنفسهم وقدراتهم

وأنَّهم رقم مهم في الوجود

ويدخلوا إلى بواطنهم... ويستخرجوا أجمل ما لديهم

يصبغونه بصبغة محبة الخالق

ويحيون به اسم الرحمن

المتعالي

كانت البقرة تمشي بهدوء ووقار

حين ضلّت طريقها... ودخلت في واد مليء بالأشجار

رأت السنجاب يركض ويعمل بسرعة

نظرت إليه باستحقار واستخفاف

فخاطبته: أي مخلوق أنت بلا أبّهة ولا وقار؟

تركض وتقرض وليس لك قرار

تدخل في تجويف وتخرج من آخر

نظرتك ضيّقة لا تتعدى حدود الأشجار من حولك

أين أنت منّي؟

أمشي في مساحات خضراء لا يحدّها شيء

أَنظر إلى الأفق وأرى الأمور واضحة كاملة

فلو كان الناس يرون الحياة مثلي... لفهموا وارتقوا

ردّ عليها السنجاب مستغربا: ترين ظاهراً من الأمور بسطحية

لا تعرفين شيئا عن عمق أو تفصيل

ولا عمّا يجري بين الأشجار وداخلها

ولأنك لا تعرفين... فأنت تتوهمين وتصدقين أوهامك

فأنت لا تستطيعين حتى أن ترفعي رأسك وتنظري الى السماء

فلا تفهمين غير ظاهر خدّاع

وتعتقدين أنَّ لديك الصورة كاملة لمغزى الحياة

وتحكمين بناء عليها... وأنت لا تفهمين

فلو رأى الناس الحياة مثلك... لعاشوا في غفلة وغرور

فمهما كانت طريقتنا للنظر للحياة

فالأهم منها هي الطريقة التي ننظر بها لأنفسنا

فإذا تيقّنا أنّ بنا روحاً من المتعالي

وتذكّرنا هذه الروح في كل حين... صلينا ودعونا لنتصل بها

فسنعرف بأننا خُلقنا للآفاق العليا

والدنو لا يتناسب معنا... ولا لما خُلقنا من أجله

فتنبذ قلوبنا كلّ عمل دنيء... وكل صفة تحط منّا

ونمتحن أنفسنا... ونذهب للبحث فيها عميقاً

لنتأكد ممّا فيها... ولا نكتفي بنظرة سطحية عابرة

وحين نبحث... نجمع الدقّة والحركة والنشاط معاً

لنعرف أجوبة نسألها كل يوم... هل عرفنا أنفسنا لنعرف خالقنا؟

هل لا زالت قلوبنا واعية... أم أنَّها تاهت وضلّت الطريق؟

فندخل في أغوار أنفسنا... ونكتشف ما بها ونجمع زاداً

كما يفعل ذلك السنجاب في تجويف الشجرة

فنُخرج الديدان منها... ومعها كل ما لا يليق بها

ونخزّن لأنفسنا زاداً من الصبر والإيمان والمحبة والصفح والتسامح

نتغذى منه في الأيام الصعبة... حين تتعب أرواحنا وتستغيث نفوسنا

لنقي أنفسنا من براثن السقوط في جوع الحرص والطمع

أو الأسر في سجون الخوف والقلق واليأس

ونحفر اسم المتعال في أعيننا

لكي لا تهيم في جمال وعلو زائف... وتنسى حقيقة انتماء روحها

فحينها... ستكسو أنفسنا همّة عالية

وتصبح أخلاقنا بعلو همّتنا

وتتزين ملامحنا بابتسامة محبة الله وخَلقه

وتكون الشمس بانتظارنا كل يوم

لنضيف معها إشراقاً للحياة

البَّر

كانت تمشي على غير هدى

ومعها ثقل يوم طويل... وسنين أثقل

تسترجع ذكريات

تجمعت كلّها معاً... في سلَّة مليئة بما مضى

ولكنها موجة ذكريات مختلفة... ليست كما دائما

فلم تكن فكرة شاردة... ولا مجرّد وخزة واحدة

بل أسئلة متتالية... حارت في الإجابة عليها

كم قصَّرَت بحق آخرين؟

كم أساءت الظن بهم؟

كم كانت نظرتها سوداوية؟

كم بحثَت عن الأشواك وربَّتها... وتجاهلت عبق الوردة وجمالها؟

كم حملت على ظهرها تأويلات لأحداث... وتفسيرات لكلمات

صوّرت أصحابها وبهم بقع سوداء قبيحة

بعضها صغيرة... شملت جزءًا منهم

وبعضها بقع كبيرة... غطَّت كل شيء بهم

وفي جميعهم... كانت ترى تلك النقاط جزءًا لا يتجزأ منهم

استرجعت المعاني التي نسجتها

والتي أسكنتها في عقلها وقلبها

وبنت لها بيتاً دافئاً مريحاً

لتبقى فيه وقتاً طويلاً... حتى لا تُفكّر بالرحيل

فبعض تلك المعاني كان صغيرًا بحجم رملة... وبعضها أكبر

وبعضها ثقيل كثقل جبل صخري

جذوره عميقة... تلامس صفاء عيون المياه بأعماقها

فتلوثها... وتصيّرها داكنة

سألت نفسها... أين كنت عن نفسي طوال هذه السنين

وكيف سمحت لأن أغلق جميع أبواب قلبي وعقلي

وأفتح باباً واحداً فقط

زيّنته بأسماء جميلة

وصببت عليه شهداً شيطانياً

يزيّن لي كل ما أفكر به

ويعطيني شعوراً متعالياً عن أولئك المخطئين

وبينما هي كذلك... نزلت قطرات دموع حسرة من عينيها

وإذا بصوت أذان المغرب يعلو من مئذنة قريبة

فأفاقت من عالمها... والتفتت حولها

فعلا صوتها بدهشة واستغراب

إنَّه يناديني... بالرغم مما أنا عليه

يناديني لأكلمه وأناجيه... لأتوجه إليه وليس لغيره

لأطلب منه خيري وصلاحي

ليكون أنيسي في وحدتي ومعيني في عجزي

ليكون لي حبيباً ورفيقاً!

سبحانك ربي...

لقد كنت بارّاً بي قبل أن أفتح عيني على هذه الدنيا

بل قبل أن أكون شيئاً مذكورا

ولا زلت... إلى يومي هذا

فما لا أعرفه ولا استشعره من برّك بي... لا يقارن بما أعرف واستشعر

فيا ربّ...

ارزقني معرفة لبرّك وفهماً

وألهمني من لدنك قوّة... لكي أشفق على نفسي وأبرّها

وأحبّ عبادك وأبرّهم

وأنظف قلبي مما يبعدني عن طريق الإحسان الذي تحب

إنك أنت البَرُّ الرحيم

التواب

انعصر قلب يعقوب ألماً حينما رجع أبناؤه دون يوسف

استشعر الغدر... ولم يحاججهم به

فالحسد أكل قلوبهم ولسب عقولهم

بكى حسرة حتى ابيضت عيناه

وأبت أن تبصر دون يوسف

وظلَّ يوسف في ظلمات البئر

ظلمات الصحراء... ومعها ظلمات الفراق

ثمّ مضى في مسيرة عجيبة... ابتدأت بخروجه من البئر وبيعه

وبعدها بحبسه... ثم بتنصيبه كمؤتمن عزيز

هو يعرف حال أبيه من لوعة فراقه

ويعرف أنّه أمر مبيّت... وليس حادثًا عابرًا

ويعرف مدى قسوة إخوته وجفائهم

ويعرف أنَّهم لا يحبّون قربه

ويعرف أنّ ظلم ذوي القربى أشدّ إيلاماً

وليس أي قربى... إنهم إخوته

من تعهدوا بحفظه ورعايته

وحين دارت رحى الأيام وعرفوه بعد عزّه

تأدّب معهم بقلب مشفق محب

ولطف بهم لطفاً لا تُطيقه إلا روح سامية

فلم يعتب عليهم حين قالوا إن كنّا لخاطئين

بل قال لهم لا تثريب عليكم

واليوم يغفر الله لكم

وهو أرحم الراحمين

ولم ينسب خطأهم إليهم... بل للشيطان

ذلك الذي نزغ بينه وبينهم

فمَن مثله يدرك بأن التوّاب له باب لا يُغلق طرفة عين

يُشرف على بستان التوبة الواسع الجميل

ذلك الذي به شذى رياحين محبّة الرحمن ورحمته

و به طيور لا تكلّ ولا تنام

تُنادى بأطيب الألحان وأعذبها

تجتذب بها القلوب التي لا تزال رطبة

ولو ببعض قطرات بقيت من ندى فطرتها

أن تعال... وادخل هذا البستان

لتنال ما لا تعادل متعة أكبر ذنوبك رملة مدفونة منه

وتدعوك لتبقى في ربوعها ولا ترحل

وتلبسك طوق عهد التوبة

ذلك الطوق المرصّع بأجمل الجواهر وأثمنها

وتطلب منك بألا تكسره

لكي لا تخرج من النّور إلى الظلمات

ولكن إن خرجت... أسرع وارجع

سترى الباب مفتوحاً أمامك

يحتضنك بذات الاشتياق

ويلبسك الطوق مرة أخرى

ويهمس في إذنك... انتبه أن لا تكسره ثانية

لأنَّك قد تتوه وتضيع... ويلتبس عليك الطريق

أو تكون استنفذت عدد أنفاسك في هذه الدنيا

ولن يدعوك يوم جديد لتعيشه

أو قد تيأس من رحمة الرحمن... فلا تنظر للباب مرة أخرى

وتعتقد أنَّهم أغلقوه... أو أنَّهم طردوك

فتذهب بعيداً

وتقرر أن لا تسمع صوت طيور البستان

التي تواصل غناءها إليك...

أن ارجع

مهما تكن... وأيّاً تكن

حتى لو كنت حاملاً لأوزار تزن جبالا

فما عليك إلا أن تلبس طوق عهد التوبة... وتحافظ عليه

فالتوبة مقرونة بالرحمة

والله يحب التوابين

المنتقم

أراد فنّانٌ ماهرٌ أن يُقِيم معرضاً

يستعرض فيه روائع الأشكال الهندسية

يُظهرها بشكل إبداعي جميل

ويُوصل للناس رسالة هو تشرّبها

بأنّ هذه الأشكال تضيف إبداعاً للفنون

فصنع مجسماً لكل تلك الأشكال... بلا استثناء

بدأ بالدائرة... صنعها بكل دقة وجمال وإتقان

ووضعها وسط لوحة كبيرة... ووَضَع باقي الأشكال حولها

فشعرت أنَّ هيبتها ضاعت بينهم

وأنَّها لم تعد نقطة التمركز كما كانت

ولأنَّ المثلّث وُضع فوقها في اللوحة... قرّرت أن تلقنه درساً ليعتبر

ويُردّ لها اعتبارها

فضغطت على زاوية من زوايا المثلث

فانحنت تلك الزاوية... ولم يعد مثلثاً

ولكي ينتقم المثلّث لنفسه

استخدم أحد زواياه... وكسر الدائرة

فدفع الجزء المكسور بالمربع... وانحنى ضلع منه

ومعه ثُقبت زاوية المثلث

وهكذا... كلّ منهم أراد أن ينتقم

في سلسلة لم تنته

حتى أفسد كلّ منهم نفسه... والآخر معه

فأصبحت اللوحة مجموعة من أشكال... ليس لها هوية محددة

وحين تمّ عرضها... مرّ عليها الناس ببرود

ولم يلتفت أحد بأنّها كانت أشكالاً هندسية

ولم ينجذب أحدً لمعناها... ولا مغزاها

فحين نَردّ الشر والأذى بمثله

قد نصل مرحلة لا نعرف بعدها معنىً للعفو

أو للمحبة أو الشفقة أو الاحترام

وتُمسخ المفاهيم الإنسانية رويداً رويداً

وبدل أن تجري المروءة في عروقنا

وتصبح وجوهنا نَضرَة منه... وأفعالنا مقتبسة منه

تجُول ديدان الحقد والانتقام في دمائنا

وتدخل في قلوبنا

ثم يُعاد ضخّها مرة أخرى

فننشغل بطرق ردّ الصاع بصاعين

وإن كنّا كُرماء... ننشغل بردّ صاعً بصاع

فحينها... نحن نُفقر العالم ونُضيف بؤساً

ونصبح كتلة تطمح للانتقام

والانتقام به الكثير من التجاوز

والتجاوز ظلم لا محالة

والظلم ظلمات مركَّبة

تغشينا قبل أن يتأثر بها آخرون

فلنتّخذ المنتقم حسيباً... ونتعلم الصفح الجميل

ونعمل على التصحيح بدل الانتقام

وندرك معنى... وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ

وأن للطبيعة طريقة تُجبر بها المخطئ على معرفة خطأه

طوعاً أّو كرها... ولو بعد حين

وأن الحكيم برمجها لتُرجع على الإنسان عمله

خيراً كان أو شرّاً... جمالاً كان أم قبحاً

وأنّ هناك يومًا عسيرًا

لا ينجو منه أحدَ بعدل... ما لم تشمله رحمة الرحيم

حينها سنتنعّم بأذهان أكثر صفاء... ونفوس أكثر انشراحاً

وتكون أيامنا مؤثرة فيمن حولنا... حتى مَن ظَلَمَنا

فهكذا عالم... يُلهم الخير والصلاح والإصلاح

العفو

حطّ نورس على شاطئ بحيرة

فرأى صديقه مالك الحزين... لا يزال حزينا

منذ أن فارقه آخر مرة

فالتفت إليه وخاطبه مشفقاً...

ألازلت تُغني أجمل ألحانك... حينما تكون بائساً

تشكو من ظلم أحد إليك... أو ظلم الزمن عليك؟

فيا من أنت كمالك الحزين في شفقتك على نفسك

وكل طاقاتك وإبداعك هي تخليد لألم يصيبك

تخبر به الجميع... إفشاءً أو إيحاءً

من يعرفك ومن لم يعرفك

وتذكِّر نفسك... بأنّ هناك من آذاك

وإنّك لم تكن تستحق ما حلّ بك

وتنعى حظك العاثر

وتتأكد أنّ ذاكرة الأذى تحيط بك

فلا تسمح لقلبك أن يتوقف عن النزف

ولا تعطيه فرصة ليتعافى

لأنَّك جعلت من هذا الحزن نصيباً في هويتك... ومَن تكون

فهو يعطيك شعورًا ممتعًا ... بأن الجميع مدينين لك

كلٌّ بشيء... وبنوع وبجرم

أحدهم بجرم إيذائك ... وآخر بسكوته

وبعضهم بجرم أنّهم لم يعرفوا ما عانيت

ولم يُقدّروا مسكنتك

فتبرّر لنفسك الكسل والتهاون والتبلّد

وتعمل على أن تستجدي الشفقة والعطف

من نفسك... ومن الآخرين

ولا تريد لمن آذاك أن ينسى... ولو لوهلة

أنّه مدين لك

فيعطيك هذا شعوراً بالعلو... ولكن علوّ كاذب

مع أنَّك قد تقول أنَّك عفوت عنه

أو هكذا تظن مع نفسك

ولكن حين يبدر منه أيّ عمل لا يعجبك

أو تسمع ثناء من أحد عليه لا ترى أنّه يستحقه

تتزايد دقات قلبك

وتسمع شريطاً سريعاً بداخلك

يذكّرك مرّة أخرى بما فعل... ومعه مشاعرك لما فعل

وهذه علامة لك... بأنَّك لم تتذوق العفو بعد

فكيف لطيور السلام أن تعشعش في قلبك

إذا لم يجرّب قلبك عفواً لطيفاً بمقدرة

كما يأتي الموج ويُقَبل الساحل

ويودع بكل قُبلة صدفة ملوّنة جميلة

ذكرى منه للساحل ليتذكر بأنَّه مرّ من هنا

بابتسامة ولطف وسلام

فحين يعفو الكريم الحميد... يمسح أثر ما عفا

فتَعلم العفو في قُوَّتك وعِشه

ليعينك الكريم بعفوه يوم ضعفك

فهو يحبّ عباده... ويحبّ من يكرمهم

فأكرم نفسك بأن تتعلّم العفو

وأكرم عباد الله بأن تعفو عنهم عفواً صادقاً

وهل لك من سبيل نجاة إلا أن ترجو عفو الجميل؟

الرؤوف

عندما تسقط بيضة عصفور على الأرض

ويخرج ذلك الصّوص غير المكتمل

يحرّك جسده الضئيل طلباً للحياة

وتشعر بأنّ كل قوتك وهيبتك

تقلصت بحجم ذلك العصفور... وتمركزت

وارتعد قلبك عند كل رعشة لذلك الصغير

وتودّ لو أنَّك غذَّيته من عصارة وجودك

وأدفأته بحرارة قلبك...

فأنت حينها تكون قد قطفت وردة من باقة الرأفة

فكلّ مشاعر الرأفة في قلوب الأولين والآخرين

ما هي إلا ظل... لذرّة من اسم الرؤوف

وهذا الظل وحده... يكفي لكلّ من له حياة على الأرض

يحرك مشاعرنا... ويحاكي الإنسان بداخلنا

لكي ننظر إلى من حولنا

ممن آذاهم أولئك الذين لم يستشعروا هذا الظل

وأشعلوا نار الغلظة وانكفئوا تحتها

وحوّلوا قلوبهم إلى أحجار صلبة

انكوت من نارهم حتى أصبحت جمرة

يرشقون بها من ضعف ممن حولهم

فيؤذونهم... ويحترقون هم بنارهم

فانظر إلى قلبك في الأشياء الصغيرة

وتحسّسه... واستمع إليه

لتعرف إن كنت لا تزال تحت ذلك الظل

أم أخذك ضياء الجمر المزيَّف... فشعرت بالقوة

ونسيت أن القوي الجبّار اختار لنفسه اسم الرؤوف

وأنك لن تستطيع أن تكون إنسانا

ما لم يدخل قلبك ظل الرؤوف

مالك الملك

مع إنّه لم يتأثر بالوضع مباشرة

إلا أنّه استغاث من الظّلم والجور المستدام

ذلك الذي تأثّر منه أفراد ممن يعرف... ومن لا يعرف

حقوق تُهدر وتُصادر... وكرامات تُدهس

ولمّا تيقن أصدقاؤه أنّه قد ينطق معترضاً

ويوصل صوت اعتراضه لأولئك المستبدّين... خافوا عليه من بطشهم

فهو ذات السبب الذي اختاروا هم لأجله السكوت والانصياع

حاولوا ثنيه كي لا يصيبه أذى

ولم يستطيعوا فهم سبب اصراره واندفاعه

ففي كل الأحوال هو ليس متضرراً مما يجري

ولكن بالنسبة له... لم تكن المسألة شخصية

بل أكبر وأرقى

هي واجب إنساني

ودَيناً يدفعه للحياة... مقابل كل ما أخذ منها

وما إن بدأ بانتقاد الخطأ... حتى بدأت سلسلة أحداث لا تنتهي

فانهالت عليه الافتراءات و الشائعات

وأنواع المضايقات والإهانات

وحُفرت له في كل مكان... حفراً مختلفة أحجامها وأشكالها

ومعها رسائل مبطنّه

أن اترك... وسوف نترك

ولكن... هيهات لمن عرف معنى الحق أن يتوقف من خوف

فهو يعمل على مستوى النظام الجزئي... وعيناه على النظام الكلّي

فعلى مستوى النظام الجزئي الصغير

قد تكون لهم القدرة على مضايقته

والتحكّم بالظروف المحيطة به

ولكن ليس على إرادته وإنسانيته

وأمّا على مستوى النظام الكلّي الكبير

فمالك الملك هو المسيطر والمهيمن

وقدرتهم عليه مثل قدرة تلك العصافير المجتمعة في قفص

تَجبّر أحدهم فاحتل عشّ آخر وطرده منه

واعتقد أنّه انتصر على العصفور وامتلك العش

وهو لا يعلم بأنّه هو والعش والقفص في قبضة صاحب القفص

وليس له أي قوّة أو قدرة في مقابل قوته وإرادته

فالعزيز المهيمن له ملكوت كلّ شيء

يذلّ من يشاء ويعزّ من يشاء

وهيهات أن يصيب الذّل من يخطو خطوات لاعلاء كلمة حق

أو ارساء عدالة... أو نصرة مظلوم

فذلك إنسان نفسه لا تعرف الذّل

حتى لو كان عقابه تذوّق أنواع المرّ والهوان

وتكسير أجنحته... وتقليم قدراته

وسحب فرصه في حياة أفضل... بل في الحياة أصلاً

فمالك الملك... يملك المكان والزمان

وما يحمله الزمن

إليه المرجع وإليه تؤول الأمور

هو المُعز والمذلّ... بيده الخير وهو على كل شيء قدير

فما من طالب حق من نبي أو وليّ أو صالح

إلا ومسّه أشكالٌ من إيذاء الناس وتنكيلهم

ومع ذلك... لم يكن إلا زمنًا قصيرًا وقتيًا

لم تتعدَ أعمارهم في هذه الدنيا

ويبقى ما حمله ويحمله الزمن إليهم إلى يوم الدين

والذي لا يخرج عن خليط من عزّ وإكبار وإجلال وتقدير

فاعمل لذلك... فأنت تستحقه أيضاً!!

ذو الجلال والإكرام

عرف الأب ما فعله ابنه

أنَّه ضرب صديقه وجرح وجهه

ولم تكن تلك المرة الأولى التي يصبح فيها عدوانياً

يأخذ ما يريد بالقوة والزور

فقرر أبوه حرمانه من نزهة العائلة

تلك التي كان ينتظرها بفارغ الصبر... منذ عدة أشهر

والتي هيّأ لها الثياب وأنفق ماله ليشتري كرة يلعب بها هناك

فصُعق حين علم قرار أبيه... ولكنّه اعتقد أن لا دوام له

فهو يعرف محبّة أبيه... وشوقه لرؤية الفرح في عينيه

ولم يتغير قرار أبيه

ذهبوا... وبقي

وهو لا يعلم بأنّ أباه أوصى عمّه سراً ليتكفل به ويتلطف

يأخذه للتنزه... ويشتري له هدية يحبّها

وأن يقص عليه قصّة مشوقة بها معاني الأمل والمحبّة قبل أن ينام

وأن يطمئنه عليه عدّة مرّات كلّ يوم

فلم تكن قسوة الأب إلا رحمة بولده

ولم يُحرم الولد من رحمة أبيه ومحبّته... ولو على يد عمه

وما رحمة الأب في قبال رحمة الرؤوف إلا نقطة في بحر بسعة الكون

فحين تطوقنا صفات الله الجلالية

كعدله وانتقامه وكبريائه وجبروته وهيمنته وقهره وعزته

سنغرق جميعاً في مستنقع تقصيرنا وإسرافنا على أنفسنا وتضييع أيامنا

ولكن رحمته غلبت غضبه... بلطفه

وبكرمه... تحتوينا صفاته الجمالية

فهو الرزّاق والستّار والوهاب والمعزّ والرّافع والرحيم والودود

ليس لأنَّنا نستحق

ولكن لأنَّه هو الله ... الذي كتب على نفسه الرحمة

فإذا كان هذا فعل رب العباد... خالق الناس ورازقهم

ألا يجدر بنا أن نتذكّر ذلك حين تقرع قلوبنا نواقيس الحرب على الآخرين،

ولو بنظرة ازدراء تجاههم،

أو كلمة تمرّ بأذهاننا تحطّ من إنسانيتهم،

أو أمنية شر تضمرها قلوبنا لأيّامهم؟

فكيف حين نشهر سيوف اللسان واليد والفعل،

ونجند نوايانا... ومعها مشاعرنا؟

فمن منا يرجو نجاة بغير أسماء جماله وكرمه؟

فلنصنع لنا من تلك الأسماء منهج حياة

ما لم يكن غضبنا خالصاً للعزيز الجليل

وقبل أن نجزم... علينا أن نتأكد من ذلك مرّات ومرّات

قد يفوق عددها الأيّام التي عشناها إلى اليوم

لأنَّ الفرق بينها وبين حفرة الهوى دقيق

أدقّ من شعرة بجسد نملة صغيرة

فلا شيء يستحق السقوط في تلك الحفرة... فكل شيء زائل

ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام

فتبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام

المقسط

تحت وقع أضواء المدينة

التبس على الديك وقت الفجر

وعلا صوته في منتصف الليل

فأزعج منام رجل قليل الصبر ضيّق الصدر

فأصبح ونهاره بلون الليل الذي لم ينمه

وذهب إلى عمله وهو لا يفكّر إلا في الدنيا التي ما لبثت تعاكسه

حتى بعثت طيورها لتكمّل ما ابتدأته

فهذا ديدنها... تُدبّر له في كل يوم كيداً جديداً

وجميع من حوله عون لها عليه

ولم يُخلق بعد من يتفهم شقاءه

فشعر بكل وجوده بأنّ لديه عذراً ليس لغيره

فلا يحتاج أن يفهم قبل أن يتهم قلبه أو لسانه أحداً

ولا أن يدقّق قبل أن يقرر

ولا أن يلتزم بكلمات لطيفة مهذبة

ولا بأس بقليل من العبوس... أو ربّما كثير

وما المشكلة في شذرات كلمات هنا وهناك...

محمّلة بملامة وشكوى وسمّ مبطن... تثقل قلب من يسمع

ولا بأس أيضاً ببخس مكيال أو أكثر

لحق يطالب به... أو حق يرجعه لصاحبه

بكلمة يقولها

أو عمل يقوم به

أو تهاون لواجب

أو نقص لروح في عمل

ولم لا... فهو يرى أنه طيّب خيّر لا يقصد إيذاء

هو فقط ليس بمزاج جيد

اليوم... واليوم فقط

وهذه أمور صغيرة... لا تؤثّر كثيراً

وفي الصباح التالي... كان هناك أيضا شيء لا يروق له

فأصبح يومه كأمسه

حتى أنّه شعر بوخزة صغيرة في قلبه...

تقول له... أن استقم

فأخرسها على الفور... أنّه اليوم فقط

ومضى عمره...

على أمل أن يأتي ذلك اليوم الذي يُصبح ولا يعكر صفوه شيء

ليكون أكثر إنصافًا وعدلاً مع نفسه وغيره

وينسى أنّ هذا اليوم لن يأتي إلا بدعوة منه

فنحن نختار للأحداث معناها

ومعها تبعاتها

فالحياة بالقِسط خيار... في كل صغيرة وكبيرة

في كل عمل وكلمة وفكرة

والخيار لا يكون إلا بقرار... والقرار لا يستقيم إلا بوعي

والوعي لا يكون إلا بالفهم والصبر

ولكي نفهم القِسط... علينا أن نتأمّل اللطيف الجليل

الذي لا يأخذه شيء عن شيء... ولا يخلط شيء بشيء

ولا يلهيه شيء عن شيء

ولا يظلمنا ذرّة... ولو كان ما اقترفنا من ظلم يعادل الجبال ثقلاً

فلنختر أن نربّي أنفسنا بالحلم والوعي

لنكون أكثر قسطاً

والجميل... إن الله يحب المقسطين

الجامع

رجع من عمله متعباً محبطاً حاملاً همّاً يبدو له أنّه لن ينجلي

جلس على شرفة منزله حيث قفص الطيور

سمعها تغني وتقفز وتحاكي بعضها بمرح

خاطبها ... تغنون وتمرحون؟

ولِم لا؟... لا همّ لكم ولا تأبهون

ليتني أنتم

فالتفت إليه الطائر الأصفر ذو الرأس الأحمر

همس له بهدوء

أنا أسير لديك... نسيَت أجنحتي معنى التحليق

لم يلمس منقاري حَبّاً غير ما تختار لي... وفي الوقت الذي تريد

مُجبَر أنا على العيش طوال حياتي مع مَن معي

في مكان ضيّق صغير

بطباعهم وأذواقهم وأصواتهم

ليس لي مفر ولو لدقائق معدودة

ومع ذلك... فأنا أغني وأمرح وأقوم بدوري

فأنا ليس أسري ولا سِجني ولا همّي ولا حزني

وأنت يا سجّاني

لو تأملت قليلاً... لعرفت أنّك ليس همّك

وليس مرضك وليس عملك

وليس فقرك وليس نجاحك وليس إخفاقك

ليس خوفك وليس أملك وليس تاريخك

أنت مجموعهم كلهم... ومعهم أمور كثيرة

منها ما جمعت في حقيبتك التي تحمل على ظهرك

تلك التي تلازمك في كل أوقاتك... وستأخذها معك لعالمك التالي

بها كل أعمالك ونواياك... ومعها مواليد كثيرون

بعضهم صغار يافعون... وبعضهم شيوخ كبار

هم نتاج ما يتولّد حين تجمع بين شيئين أو أكثر

وجه بعض تلك المواليد يشعّ غضباً ووجوماً

فهي تتولد حين تجمع سوءاً وقبحاً بأرض خصبة

ككلمة مثيرة... مع قلب غاضب

أو حركة مستفزّة... مع شكّ متأصّل في قلب مريض

أو بدعة مبتذلة... مع مجموعة شابة تائهة

أو كلمة مشوّشة... مع عقل غارق

ووجه بعض تلك المواليد يشعّ بسمة ونوراً

فهي تتولّد حين تجمع خيراً وجمالاً بأرض خصبة

كذكر للرحمن... مع قلب خائف

أو ابتسامة أمل... مع عين دامعة

أو بذرة خير... مع إنسان ضائع

أو قطرة محبّة ندية... مع نفس يائسة عطشى

فأنت مجموع كل هؤلاء

ويوم الحساب... سيجمعنا الجامع

مع خلقه من الأولين والآخرين

ومع ما نحمل في حقيبتنا التي حملناها على ظهورنا

فنرى أعمالنا ونتائجها

حتى تلك التي شغلتنا الحياة عنها... فلم ننتبه لمآلها

ونرى نوايانا عارية تمامًا

كما كانت في قلوبنا... يوم شكّلناها وحفظناها

لا تغطيها مبررات ولا تسميات ولا محسِّنات

ونرى مواليدنا... العابسين منهم والمبتسمين

أولئك الذين نودّ لو يرجعون

والذين نودّ لو لا يفارقون

فيا ربّ العرش العظيم... وفقنا لنكون ما تحبّ وترضى

لتنظر إلينا نظرة رضا يوم الجمع العظيم

الغني

كانت تعيش أصعب أيّام حياتها

فزوجها هجرها بحثاً عن حياة أفضل

والمؤجّر يطرق بابها كل يوم مهددًا بطردها إن لم تدفع الإيجار المتراكم

وابنتها المراهقة لا شغل لها إلا انتقادها وتذكيرها بإخفاقاتها

وأبوها في حال خطِرةٍ يحتضر

والشركة التي تعمل بها مهدّدة بالإفلاس

وهي بحاجة لشخص يدعمها ولو بكلمة والجميع منشغل عنها

وبينما هي تفكّر في حلول لأزماتها... اتّصل قسم الطوارئ في المستشفى

طالبين منها الحضور لابنها الذي أصيب بحادث بليغ

وأنَّهم استطاعوا إخراجه من حطام السيّارة بإعجاز

وحينما ركضت لتركب سيارتها لتصل إليه...

أدركت أن ابنها أخذ سيارتها دون استئذان

في تلك الليلة... انكبّت على سجّادتها تبكي بحرقة

تطلب من الله أن يفرّج عنها همّها

ولكنّها كانت حائرة

أي دعوة تقدم على غيرها،

تعجيل شفاء ابنها... أم مال مؤجر منزلها؟

عملها... أم حياة أبيها؟

ففتحت القرآن بعيون دامعة... وحدّثها العزيز

لله ما في السماوات والأرض

إن الله هو الغني الحميد

فاستشعرت فقرها وغناه

ضعفها وعظمته

ضعفها ليس في حاجتها لخالقها فحسب

بل في الحدود التي تستطيع أن تفهم وتتخيل فيها عظمته وغناه

وقدرته وهيمنته على الكون ومن فيه... وهي جزء ممّن فيه

فاستكملت قراءة كلام المجيد

ولكن هذه المرّة بشكل مختلف

لم تقرأ عيناها فقط... بل قلبها ومشاعرها وعقلها وكل جوارحها

فاستشعرت بأنّها مرتبطة بقوّة لا متناهية

بغنى مطلق... لا يعرف الفقر والحاجة

فابتسم قلبها... ومعه وجهها

فانكبّت على سجّادتها مرّة أخرى

وحدّثت ربّها بكلّ ما في قلبها

وسألته أن يفرّج عنها كل همّها... وليس الأخطر فقط

وسألته أن يرزقها كلّ ما تأمل... وليس الأكثر ضرورة فقط

وسألته أيضاً أن يُعلّمها كيف ترى سعة رحمة الرحمن... حين تضيق بها الدنيا

وأن يساعدها لتكتشف طرقاً مشرقة... حين تتوه في دهاليز الحياة

وتنكشف الحجب من عينيها

لتشاهد آثار جمال الله وبهائه

وأن تصبح هي كسحاب الربيع

تمطر على من تمرّ قطرات من مطر صاف

تُذكّر من تصيبه قطرة

بأنه هو الغني ذو الرحمة

المغني

الحروب والمعارك والإيذاء... منشأها أرواح بائسة فقيرة

ليس لها صلة بالمقتدر العظيم

تؤمن أنها تُركت لوحدها... تواجه مصيرها

ولأنها وحيدة... تخاف وتحرص

وعليها أن تحذر

من كل فرد... حتى ولو كان أقرب المقربين

فتتحول علاقة المودة إلى مصلحة... والحبّ إلى منفعة

مع سلاح قاتل فتّاك

يقيس أيّ حركة للقلب

أوجدتها نسمة خير... ليقتله في مهده

كي لا يجرؤ أن يتحرك مرّة أخرى

وليتأكد من أنّه ينتزع ندى ذلك القلب

ليجف... ويقسو

فلا يشعر بعدها بأحد

ويصبح كصخرة صمّاء وسط صحراء جدباء

لا يرى في الصحراء إلا ترابها وفراغها

فيصبح قلبه ساحة وعرة جافة

لا يعرف للشكر معنى... لأنّه لا يرى شيئا ليشكر

ولا يزيد حصوله على شيء... إلا فقراً

ولا يبارحه شعور الحاجة والنقص... ولو امتلك كنوز قارون

فالفقر في روحه ووجدانه... ولا يمكن أن يشعر بالغنى أبداً

لأنه فصل نفسه عن المُغني

فكم من فقير لا يملك قوت يومه

غني بداخله... بروحه وعاطفته

يبحث عن لقمة خبز

إن حصل عليها... أكلها وشكر

وإن لم يحصل... يعرف أنّه يبحث عن الخبز

الخبز فقط... وليس عن الشعور بالغنى

فروحه غنيّة وكذلك قلبه

فحتى في حاجته لخبز العشاء

قامته مرفوعة... حتى ولو التصق بطنه بظهره

وقلبه يتغنى بالحياة... حتى لو انفق كلّ وقته في العمل الشاق

والشعور بالكرامة يملأ كلّ ذرّة من جسمه

ويشعر بأنّه ينتمي للحياة وما بها

وأنّه متّصل بما هو كبير وغني وواسع

فكلّ ليلة يدعو قلبه المُغني... وهو واثق من غناه وكرمه

وقدرته على العطاء

وأن لا غنى من سواه

فينام قرير العين... ويُصبح مستبشر القلب

وقلبه يردّد... سبحان المُغني الحميد

المانع

قد نمشي في طريق مسدود...

نهايته مستنقع أفاع

ونعتقد أنّها واحة الراحة والسلام

فنعمل جاهدين لنزيح الأحجار من طريقنا

علنَّا نُسَرِّع الوصول

وأحياناً... نجهل ما نريد

نبحث عن الرضا في وادي الجشع

وعن كنوز المحبّة في جبال التحكُّم في الآخرين

ونشحذ كلّ ما لدينا لكي نحصل عليها

وأحياناً أخرى...

تسيطر علينا شهوة الامتلاك والشُهرة

ونعتقد أنّها ستعيد لنا بريق حياتنا... وتملأ خواء دواخلنا

فنعمل جاهدين من أجلها

ففي كل تلك الأحوال... نحن لا نرى إلا ما نرى

ولا نَعي إلا ما نستطيع أن نُدرك

فعَلَيهِ... نُحدِّد ما نريد ونُقَرِّر

نعمل... نَصُرّ... بل ونُلِح

وقد ندعو الوهاب الرزّاق أن يعطينا ما نريد

ولكن أحياناً...

ننتظر وننتظر... وأيضاً ننتظر

نعمل.. .ومن ثم ننتظر

دون أن يتحقق لنا ما طلبنا

وكأنّ جميع أصواتنا تجمعَّت لتُشكِّل مطرقة

ترجع إلينا بضربة قاسية على جبيننا

تشككنا في أشياء كثيرة

وقد نغفل...

إنَّ الله الذي أسمى نفسه المانع... قد يمنع عنَّا

ليعطينا فرصة أخرى... علنَّا نختار طريقا آخر

ينتهي ببحيرة صافية

يسبح فيها إوَزّ السلام

وتظلّلها غيوم الرضا

وتنبت على ضفافها أشجار الصفاء

وتحكي أصدافها قصص العشق

الضار

لكل شيء آفة... وآفة الحياة الخوف

فهو يجعلنا عبيدًا

ليس لخالقنا... بل لكلّ ما نخاف

فحين يزداد خوفنا... يتضخّم ما نخاف

ويَتَّسِع... ليحتوينا

إلى أن نصبح نقطة... في مركز دائرة الخوف

وكلَّما كبرت تلك الدائرة... كلما صغرنا نحن

وانضغطنا

وحينها... يصبح الخوف توأمنا

لا نفكر... إلا وهو أمامنا

ولا نتحرك... إلا وأعيننا عليه

ولا ندَّخر... إلا تَحَسّباً لوقوعه

والأدهى...

لا نعيش إلا لَه... وبِهِ

ومن أجله

ونتسى... أن الخوف ما هو إلا انتظار لسوء أو أذى

من أنفسنا أو من الناس... أو حتى من الزمن

ولا ننتبه... أن الحياة كريمة سخِيَّة

تعطينا ما ننتظر ونتوقع... بل وتزيد

فلن نتحرر من الخوف

إلا إذا صقلنا مرآة قلوبنا... لتعكس صور الحياة

فلا نرى فقط تلك الصور الضيّقة

التي لا تتعدى تفسيرنا للأحداث

بل تمتد... لتلك الصور الملوّنة

العريضة والشاملة

التي تَنقشنا... في خط زمننا

منذ ذلك الوقت... الذي لم نكن فيه شيئاً مذكورا

إلى وجودنا في هذه الدنيا... والحياة التي تليها

فما يبدو ألماً في صورة... ما هو إلا سوء تَدبير منا

أو دَين ندفعه لمخالفة سُنَّة من الطبيعة

أو صلاح مغلّف بأذى

أو ظاهر ضرر مُعجَّل... مُبطَّن بخير مؤجل

ففي كل الأحوال...

من ذا الذي يستطيع أن يضرنا.... دون إذن خالقنا؟

ولو قرأنا قصص حياة الآخرين

منذ ذلك الزمن البعيد

الذي قررت ذاكرة الزمن التخزين... إلى يومنا هذا

لأعدنا تعريف معنى الضرر

فظاهر الأشياء... قد لا يشبه حقيقتها أبداً

فلا نكن كالنملة... لا تنظر إلا أمامها

تَسودُّ الدنيا في عينيها... حين تمرّ من سواد حالك

وتستبشر... حينما تمرّ من بياض ناصع

وعند عبورها من كلّ لون... ترى الدنيا بشكل مختلف

وأنت... مَن تراقب حركتها من الأعلى

تعلم أنّ كل تلك الألوان... ما هي إلا ألوان سجَّادة جميلة

تمرّ عليها هذه النملة

لكلّ لون منها معنى... مكان ومغزى

فلنجعل كل لون نمرّ به... يضيف للوحة حياتنا جمالاً

ولخطوطها انشراحاً... ولثناياها أملاً

ولمن يراها بهجة... ولمن يتأملها حكمة

النافع

كلّ من يراه ينتابه شعور بأنّ العالم يضيق ويتناقص

ومن يكون معه فترة وجيزة... يتذكّر آلامه وأوجاعه

يبتسم... ولكن وراء ابتسامته كآبة عميقة

وتحت خطوط عينيه قلق دائم

وجبينه يصرخ بالتشاؤم وانتظار الأسوأ

خائف هو من المستقبل

من أن يفوته شيء ثمين... مع أنّه لا يستطيع تحديد ماهيته

متوتّر من احتمال استغلال الناس له

ومن نقص محتمل فيما يمتلك

ومن عدم حصوله على فرصة ما

ومن مرض يغافله يوماً ويداهمه

ومن منافس يستولي على ما هو حقّ له

هو خائف ومتوتر من كل شيء... دون دليل على أي شيء

فيا من أحطت نفسك بهالة من الخوف والقلق

وسميت ذلك حذراً أو تأهّباً أو شيئًا آخر

هل لك أن تتأمل...؟

من ذا الذي يستطيع أن يسلب منك ما أعطاك الرحمن؟

أو يأخذ منك ما يريده لك الكريم ؟

وما قدَّره لك الجليل ؟

فاحفر في قلبك...

بأنك إن نسيت... فهو لا ينسى

وإن ظلمت نفسك... فهو لا يظلم

وإن أراد لك نفعاً... لا رادّ له

وهو يحيطك بسيل جارٍ من الرحمة والنعم

لا يمنعها من الوصول إليك إلا قرارك

بأن تصمّ آذانك عن ندائه... وتعمي عينيك عن رؤية آلائه

وتطمس بصيرة قلبك من استشعار إشاراته

فادعُ... أن تبقى أذنك وعيناك وبصيرتك مفتوحة

لتدرك بها ما ينفعك حقاً

ليس فقط لدنياك الفانية... بل لتلك الخالدة أيضاً

فمهما تكن.. هو يريد خيرك وصلاحك

وهو أخبر بهما منك

فاطرد الخوف والتوتر والقلق من وجودك

فالجميل أحرص عليك من نفسك

وادعُ واعمل وتوكل... فالخير لا يأتي إلا منه

فهو النافع... تيقّن من ذلك

لتفتح للسلام باباً يدخل قلبك... وينتشر في وجودك

لتسمع نغمة من أروع نغمات الحياة

النور

يصف نفسه على أنّه رجل متدين

لا يخالط أحدًا... ولا يحبّذ أن يستقبل أناساً في بيته

لا يخرج إلا لضرورة ملحّة

لا يضر أحداً ولا ينفع

لا تُسمع منه كلمة نصح أو تحفيز لخير أو نهي عن شر

لا يتفاعل مع ما يدور حوله... حتى لو كان فيه ضرره أو ضرر أهله

لم يتغيّر أو يتطوّر منذ سنوات عديدة

ففكره وحياته وعلمه وعلاقاته هي كما كانت

ولكنّه مع ذلك يحفظ مجلدات عن الموت

ويستطيع أن يتكلّم ساعات طوال عنه

فهو يُسمّي عدم تفاعله مع نفسه وأسرته ومجتمعه زهداً

وانتظاراً للموت... والرضا به

وفي ذلك اليوم الذي رجع أخوه البيت فرحاً بقبوله في كليّة أحلامه

قابله ببرود... وذكّره بأن كلّ شيء زائل وكلّ شيء مصيره الموت

فردّ عليه جدّه الذي يبكي قلبه دماً شفقة عليه...

بأن يا بني...

لا يوجد من بقى حيّاً لأنَّه لم يعرف كيف يموت

ولكن أكثر الناس أموات بأجساد متحركة لأنَّهم لم يعرفوا كيف يعيشون

فكيفيّة موتنا تحدّدها كيفيّة حياتنا... وليس معرفة تفاصيل نزع أرواحنا

وحياتنا هي بمقدار النور الذي نسمح له بالدخول إلى قلوبنا

فالله نور السماوات والأرض

والقلوب الحيّة فقط هي التي تستطيع أن تستقبل النور

تلك التي تمسح مرآتها وتنظفها من الكدورات والأدران

بنسيج من الارادة والأمل والانشراح

ليدخل بها شعاع من جمال ذلك النور

فينعكس على سمعها وبصرها وعقلها وجوارحها

فلا تكن راكداً كمستنقع... بل حيّاً جارياً كما النهر

لا تسمح لجدار أو حجر أن يقف في طريقك

ويمنعك من الوصول إلى البحر... وأن تصير محواً فيه

ولا تخف...

فالموت ليس نهاية الحياة... بل نقلة من مكان إلى مكان

فامض حياتك في العمل لما ستأخذه معك لتنير به ظلمتك

واستشعر الحياة وعشها وتمتع بالوجود

فأشعة الشمس تطرق بابك مع إشراقة كل يوم

تدعوك لتقتبس من النور الحق... وتسكنه قلبك

فافتح لها الباب... واستجب دعوتها

فتُكسر لك أقفال أبواب... لم تكن تستطيع إليها سبيلا

وتُفتح لك آفاقاً... لم تكن تتخيّل مداها

وترى ألواناً... لم تكن تعرف أنَّ لها وجوداً

فحينها سيكون الابداع ملازماً كلماتك وأفعالك وأفكارك

وسيعرف قلبك معنى الحكمة والرضا

وعندما تغيب الشمس من قلب أحد... تكون أنت من يطرق الباب

لتدعوه بأن يقتبس من النور الحق... ويسكنه قلبه

وقد يفتح لك الباب... ويستجيب دعوتك

فتُفتح له الأبواب والآفاق... ويعيش الألوان

فأيّ حياة ستعيش... وأي موت ستموت؟

الـهادي

كلّ ما في الكون

سواء رأته عينك أم لم تَرَه... يحمل لافتة بها علامة

تشير إلى اتجاه ما... أو تقول شيئًا ما

ابتعد من هنا... كي لا تخسر نفسك

تريث هنا... لتتزود

لا تفعل... إنّه لا يَلِيق بك

أسرع من هناك... فالطريق سالك

ابتعد... هنا وكر لحيّات وأفاع

فكلّ ما في السماء والأرض

من إنسان وحيوان ونبات... بل وجماد

الأفلاك والشموس والأقمار والنجوم

البحار وما تحوي... والأرض وما تُبطِن

ما يُرى وما لا يُرى

كلّها وكلّها... علامة من الهادي اللطيف

ليهديك إليه

ولن تستطيع أن تقرأ تلك العلامات

ما لم تستعن بتلك العين المزروعة في قلبك

وليس فقط في وجهك

فإن كنت تمشي... لا تدري أين ذهبت

ولا تبالي أي طريق سلكت

فأنت تَحجُب تلك العين

وإن كنت تريد ذلك الطريق... الذي يوصلك إلى الجميل

فستتفتح عين قلبك... وسترى كل العلامات

وتقرأها

وستساعدك مشاعرك في تفسيرها... فهذا أرقى أدوارها

وسيكون وجودك... ليس كأيّ وجود

لأنك لن تصبح مجرد حامل لعلامة... بل نبراساً مضيئاً

يستلهم كل من في قلوبهم نقطة بيضاء

للسير نحو عالم جميل... يودّون لو ينتمون إليه

فهم يرون آثار الطريق عليك

فتجذب نظراتك منهم روّاداً

وتُحفِّز كلماتك قلوباً... وتفتح أعيناً

وتشعل حرارة محبتك دفئاً... حين تبرد همم

البديع

في يوم ربيعي معتدل

جالت جرادة الأجواء مستكشفة

فرأت شجيرة لا تشبه الشجيرات... لها اوراق لا تشبه الأوراق

وزهور لا تشبه الزهور

سألتها: كيف تعيشين؟

إنك في بيئة غير مناسبة

فكيف تتغذين وهذه أرض فقيرة بالنيتروجين

فلا بدّ أنك هزيلة بتركيبك... لا تتحملين الشدائد

فسقوطك قريب... وموتك وشيك

لم تعرف زهرة آكلة الحشرات... أتغضب من جهل هذه الجرادة أم تضحك؟

فلو عرفت عمل البديع فيها لاحتارت!

ومع ذلك... فحديثها معها عن الغذاء أشعرها بالجوع

فقالت لها: لماذا لا تضعين قدميك بداخلي،

لتعرفي كيف أستطيع أن آكل وأحوّل غذائي لما ينقصني؟

وما أن لامست قدميها الزهرة... حتى قبضت عليها وأغلقت أوراقها

فأمتصتها كغذاء لها وتركتها جثة هامدة

فبديع السماوات والأرض أعطى كل مخلوق أسلوبًا مختلفًا

يحصل به على ما يحتاج ليصل إلى كماله الذي خُلق من أجله

ونحن... كلّ جزء فينا مجموعة لا متناهية من الإبداع

ومع ذلك أُعطينا مكنة إبداع بدواخلنا

لا تقف ولا تنبض قدراتها ومواردها ومصادرها

لنعمّر بها الأرض... وقبل ذلك نعمِّر أنفسنا

لكلّ منّا طريقه الخاص للوصول إلى الله... طريق لا يشاركنا فيه أحد

نحن نخطّه مثل ما نحب

نختار كل قطعة فيه

نبدع فيها... ونضيف إليها أي جمال نريد

فنستطيع أن نحوّل كلّ دمعة توبة لأشجار يانعة بجذور عميقة

وكلّ كلمة خيّرة صادقة لمسافات من طريق معبّد

ونزيّن الطريق ونُزرع أزهاراً على قارعته مع نسيم منعش...

من دعاء في منتصف ليل... حين نخاف مما يحمله لنا الصباح

وذِكر ووِرد... حين نشتاق لحنين صفاء السماء

وحركة قلب... حين تلامس أرواحنا اسم من أسماء الرؤوف

وابتسامة أمل... حين نحفر ثغرة يدخل منها نور عندما تصل قلوبنا لليأس

وصدى صوت شكر... حين تدرك عقولنا حمداً صادقاً

وانغماس الحواس بمناداة اسم المغيث... حين نتيقّن بأنّ جميع الأبواب مغلقة إلا بابه

وكلمات... حين نصفّها معاً ونطعّمها بتعابير الإنسان الذي ينطق بداخلنا

فحينها...

ستكون جميع أعمالنا... ومعها كلماتنا وأفعالنا

بها لمسة ابداعية مميّزة... تملؤنا حيوية ونشاط

لنعطي للعالم

ونثير همم الآخرين لينظروا إلى طريقهم... ويشكلّوه بقلوبهم

ونحفزّهم... ليقدرّوا أنفسهم وحياتهم

ويتواصلوا مع أجمل ما في ذواتهم... ويعبروا عنها بإبداع

فنفقه تسبيح الكون ونكرّره معه

أن سبحان بديع السماوات والأرض

الباقي

مشى توأمان معاً في طريق معتاد

ذات الطريق الذي كانوا يمشون فيه مذ كانوا صغاراً

حتى كبروا وأصبحوا آباء

فلديهم أمور مشتركة كثيرة

تشاركوا ظلمة الرّحم معاً

وخرجوا لمكان واحد... وآواهم سقف واحد

أكلوا من غذاء واحد... ونصحهم وربّاهم أب واحد

كلّ منهم أراد أن ينجح في امتحان الحياة

وأن يصبح خيّراً وأميناً

فالأول عمل صالحاُ

أطعم فقيراً... فتح قفلاً

رفع وضيعاً... ساند مظلوماً

ومسح دمعة

فهو يفعل الخير لكي يدخل الجنة

لأنه يعرف جيداً أنه لا يطيق حرّ النار

فعقله وجوارحه كلّها مقتنعة بذلك

تعمل معه... ومسخّرة لما يريد وكيف يريد

فهو عقل... يتبعه قلب وجوارح

ينزع أشواكاً من العالم

والثاني كذلك... عمل صالحاً كما أخيه

ولكنه فعل ذلك لأنه عاشق محب

يحبّ كل ما يحبّه معشوقه وكلّ ما يريد منه

يتحسّس كل شيء... علّه يبدع فيما يحب

ولأنه عاشق... لا يرى إلا جمال محبوبه

فأيّ جميل يصدر منه... ينسبه للمعشوق

ليس لفظاً بلسانه... بل بقلبه وكلّ وجوده

فحين يطعم فقيراً

يطعمه خبزاً مبللاً بشكر الخالق

وحين يفتح قفلاً لمحتاج

يسلمه المفتاح بيده... ومعه نافذة يطلّ بها على جلال الوهاب

وحين يرفع وضيعاً... يريه سلّم العبودية للجميل ليرقى به

وحين يساند مظلوماً... يزرع في قلبه أنّ المنتقم الجبار بصير لا ينام

وحين يمسح دمعة حزين... يسمعه صوت أمواج بحر رحمة الرحمن

فهو قلب... يتبعه عقل وجوارح

وقد أصبح عقله عاشقاً... ومعه كل ذرّة من وجوده

فهو أيضاً ينزع شوكة... ولكنّه يزرع مكانها وردة

إنّه يوصل القلوب بالأبدي

فحين يزول كل شيء... ولا يبقى إلا وجه الباقي

يكون للعشاق حساب آخر

وكل وردة عشق زرعوها... سيفوح عطرها هناك

حين يتحول عطرها إلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت

وستبقى خالدة إلى الأبد

الوارث

في يوم صيفي هادئ

أشرقت الشمس مبتدئة يومًا جديدًا

تداعت خواطرها...

أن منذ بدء الخليقة وأنا أراقب هذه الأرض

رأيت فيها العجب العجاب

فالناس تموج عليها قرونا بعد قرون

ضحكات وأهازيج حين تستقبلهم الدنيا

وصيحات ودموع حين تودعهم

من يضع قدميه عليها... يتوق للخلود

وقد يعتقد فعلاً أنه من الخالدين

فالخلود محفور في روحه

ولكنه قد يخلط... وينسى خط الزمن

فيرى الخلود في هذه الدنيا

وينسى أنّ وجوده لم يبدأ يوم ولادته... بل يوم "ألست ربكم"

ولن ينتهي إلا بالخلود

وأن حياته على هذه الأرض

هي أيّام لا معنى لعددها... في مقابل خلود روحه

فيتوهّم بأنّه سيبقى وارثها إلى الأبد... ويفكّر ويعيش ذلك

فالأرض لا يرثها إلا خالقها... ومن سواه ما هم إلا ضيوف عليها

يترك كل منهم رسالة حين رحيله... يورثها لمن يليه

فبعضهم يكتب رسالته بخطّ جميل وألوان أجمل

تلهم قارئها طريق الخير... ومعه حبّ الخالق وخلقه

وبعضهم يكتبها بألوان شاذّة وخطّ أشبه بسمّ عقارب سوداء

تزيّن طريق الشر... وتجذب إليه ذاك الذي ضاع في نفسه

وبعضهم يأتي لهذه الدنيا ويذهب

ولا يكتب في تلك الرسالة سوى خطوط لا معنى لها

أو حتى يتركها صفحة خالية

وهناك من يكتب خليطًا من خطوط جميلة وأخرى قبيحة

وهذه الرسائل هي ما تبقى

يرثها من يأتي من بعدهم... كلّ يأخذ منها شيئاً

وبدورهم يورثوه لمن بعدهم

فلك أن تختار... أي الرسائل تريد أن تبقى من بعدك

وتذكّرأنك حينما تختار... فأنت تختار تبعات خيارك أيضاً

فإن اخترت أن تورث جمالاً... فلك نصيب من كل جمال استُلهم منك

وإن اخترت أن تورث قبحاً... فلك نصيب من ذلك القبح والنفور

وإن اخترت أن تأتي إلى الدنيا وتذهب... ولا تتعدى أن تكون نكرة

لا تعني حياتك شيئاً لأحد... كما لا يعني مماتك

فأنت اخترت الموت قبل أن تموت

فالأرض يرثها عباد الله الصالحون أولاً

فكن مساهمًا في ذلك

ولتكن لك يد في زراعة تلك الأشجار المثمرة

التي ساهمت في صناعة الإنسان

ذلك الذي سيرث الأرض

وحين يرثها الله من بعدهم

ستقرأ رسالتك... وستبتسم لما ورّثت

القريب

ياله من مسكين...

ذلك الذي اختار لنفسه رباً... يعيش في السماء

له مراسيم ليسمع... ومواسم ليستجيب

هو موجود للأشياء الكبيرة... والأمور الخطيرة

وعدا ذلك... فالحياة تستمر متأثرة بأحداثها فقط

ويالـه من سعيد...

ذلك الذي اختار لنفسه الله رباً

وآمن قلبه وتيقنت جوارحه... بأنه يسمع الهمس وأدنى

ويبصر ظلمات الأعماق

ويعرف ما راكمته السنون

من دموع وابتسامات... آهات وضحكات

ما يأمل ويرجو... وما يخاف ويحذر

يعرف كل خاطرة تمر

جذورها... منشؤها... محرّكها... وأدقّ تفاصيلها

حتى ولو كانت سرعتها أعلى من أن تصطادها ذاكرة

فكلّما استشعر قرب الحميد المجيد... انعكس ذلك القرب على أفعاله وكلماته

وان زاد شعوره بالقرب على ذلك... انعكس على منطقه وأفكاره

وإن زاد... على خواطره

وإن زاد... على آماله وأمنياته

وإن زاد... يصبح لا يتمنى إلا ما يريد الكريم الودود

وتكون جوارحه مطيعة خاشعة للواحد القهار

وهو يؤمن أنّ هذه الدنيا ما هي إلا جسر عبور... لتلك الحياة الخالدة

التي ما فتئ الرسل والأنبياء يبشرونا

بطرق ووسائل مختلفة

أنّنا مدعوّون لنكون بقرب المعشوق

ذلك الذي نظرة واحدة منه... تغني عن أيّ جنة وفردوس

ويرشدونا... إلى الطريق الذي يوصلنا إلى هناك

ولكن... كيف نطلب ما لا نفهم؟

فإن لم نره قريباً هنا

ونعيش لحظات حياتنا على أنّه أقرب لنا من أنفسنا

من الخاطرة إلى الفكرة إلى العمل... لن يكون لنا مكانً قريب منه هناك

فنحن نحشر مع ما هو قريب منا... ويشغل قلوبنا وأيّامنا

فهناك... حصاد زراعة هاهنا

فلنزرع محبّة الجميل في قلوبنا... وكل ذرّة من وجودنا

ولنستشعره في كلّ شيء... حتى في أنفسنا

فهل هناك شعور في الكون يضاهي أن نتيقن،

بأنّنا لسنا محاطين بالجمال... بل بالجميل ذاته؟

الرشيد

دخلاً البحر معاً ليتمعنا عجائب أعماقه

أحدهما يمضي بسرعة دون تدقيق... تجذبه الحركة والألوان

والآخر... يرى ما وراء ما تقع عليه عيناه

وبينما هما يغوصان ويستمتعان ... رأيا شيئاً يشبه السمك المفلطح

أراد أن يدنو أحدهم منه... فحذّره صاحبه

بأن هذا به شبه من السمك... ولكنّه ليس بسمك

وما لبث ذلك الشيء حتى تحوّل إلى شيء آخر

فتشكّل... وتحرّك كأفعى بحرية

وبعد لحظات... تحوّل إلى قطعة سوداء قاتمة

اعتقد أنها فجوة مظلمة

ما لبث أن مدّ يديه إليها حتى سحبها مرّة أخرى خوفاً ودهشة

فقد تحوّل على الفور إلى لون آخر... وعَكَس الضوء بشكل عجيب

وهكذا... حتى تحول هذا الاخطبوط إلى خمسة عشر شكلاً مختلفاً

كلّ شكل منهم يوهم بأنّه مخلوق آخر

فأضافت هذه الرحلة لحيرته الدائمة

فهو لا يستطيع أن يلحظ التغيير... بل يرى النتيجة فقط

ولا يستوعب سوى ظاهر الأمور... ويحكم بناء عليها

ولا يُدرك أنّها ليست كما تبدو... إلا حين يتفاعل معها ويتورط فيها

فلا يرى الأشياء على حقيقتها

ويعمل بناء على ظاهرها فقط... ليس باطنها

ولا جوهرها ولا ماهيتها

لذلك... فهو متفاجيء ومصدوم طوال اليوم

ويتعامل دائماً مع ما لم يتوقع... ولم يتنبأ

فكلّ شيء بالنسبة له لا يمضي بتسلسل منطقي

وأنّ معطيات الأمور لا تتناسب مع ما تؤول إليه

فمن وجهة نظره... جميع النتائج تظهر في هذه الحياة دون مقدمات

ولديه صعوبة بأن يفهم أيضاً...

كيف أنّ لصاحبه القدرة على أن يلحظ عملية التلوّن والتغيير

ويلاحظ الفروقات التي تبدو بسيطة... والتي هي في حقيقتها عميقة

ويعرف كيف يميّز بين الحقيقي والمزيّف في كل شيء

فهي قدرة على الدقّة والتأمّل يعيش معها... وليست وليدة لحظة حاسمة

ومع أنّه قد يكون معه في موقف واحد... ووضع مشابه

إلا أنّ صديقه يتمكّن من التعرّف على احتمالات كثيرة... بل ويتوقع ما سيحدث

وهو بذلك قادر على أن يقي نفسه وغيره من أحداث محتملة

وأن يأخذ احتياطات لازمة تساعده في أخذ قرارات جيدة

فمن أخطر ما في الحياة... رؤية الأمور مختلطة ممزوجة

يلتبس فيها الأبيض بالأسود... الحق بالباطل

الخير بالشر... والصدق بالكذب

فاعمل وتوكّل على الحكيم الرشيد وادعوه

بأن لا تحيّرك المتشابهات وتعرف موضعها وموقعها

ولا تزيغ عيناك عن الهدف الإنساني الأسمى في حياتك

وتكون مستقيماً في تسلسل أفكارك

وتتأكّد بأن لا يكون الهوى حلقة من تلك السلسلة

يربط حقيقة بوهم... أو شيئًا بآخر

بل تكون مكوّنات السلسلة حلقات حقيقة وجمال وصفاء متّصلة ببعض

فتبدو جميلة صالحة... وغايتها بلورية صافية

وترى عيناك حقيقة الأمور... ويدرك قلبك جوهرها

فيكون لك قرار رشيد حكيم

مبني على بصر وبصيرة... ولو كنت وسط ظلام لا ترى موضع قدميك

فينالك من الرشيد شعاع نور

الصَّبور

فُطِرنا على حب الخير وطَلَبه

وأُعطينا ما لو تفرغنا في حياتنا... وألف مثلها

ولم نقم بأي شيء سوى الشكر

لما أدينا شيئاً من حقه

تكلم معنا الله... وفتح لنا باب الحديث معه

دون تحديد لوقت أو طريقة... كلٌّ بحسب ما يريد

فليس علينا أن نكون نُسخاً من غيرنا

فعدد الطرق إلى الله... بعدد أنفاس من وُجدوا على الأرض

منذ اليوم الأول... إلى اليوم الآخِر

ومع كل ذلك... لم يَطلب منا سوى ما يُسعدنا ويُرَّقينا ويرفعنا

وفي المقابل... نحن نعصيه ونخالفه

نخطئ ونُصِرّ على ما نفعل... بل وقد ندعو للخطأ أيضاً

بكلمة أو عمل أو سكوت

ننسى ونغفل... وهو يرى جفاءنا ونكراننا

ويصبر علينا

صبر حليمٍ وليس صبر غاضب

مادامت هناك نقطة بيضاء في قلوبنا

يرسل لنا الطيور والزهور والرياح وذرات الهواء

تدعونا مرة أخرى... لأن نخطو على طريق العشق

لنتذوقه... ونستشعر وحدتنا مع الوجود

لنأخذ فرصة أخرى

فلنشكر هذا العرفان والجميل... ولو بحجم ذرّة صغيرة

بأن نصبر على الآخر حين يخطئ

ليس صبراً بسلوكنا فحسب... بل نختبر صبر قلوبنا

فهو الأصعب والأكثر تعقيداً

ولا نحكم عليه بالسوء واليأس

لنعطيه في أنفسنا فرصة أخرى

برحمة ومحبة... على أمل أن ينجو ويعمل جميلاً

ليكون إنساناً أفضل

فحين نصبر بقلوبنا... ينعكس ذلك الصبر على صوتنا

كلماتنا... بل ولحن حديثنا

فتصل له روح الكلمة... وتفوح منها عطر نوايانا

تروي فيه بذور الخير

التي قد تثمر يوما ما... ولو بعد حين

لأن الكلمات حينها... ستتحول إلى ماء

والنظرات إلى غذاء

ولحن الصوت إلى فأس... يحرث أرض القلب

فهو بالرغم من حِدَّته... يعرف أين يحرث

وكيف يحرث

فيُقلِّب قلبه ومشاعره... لأنه نابع من صدق ومحبة

فلنأخذ من اسم الصبور...

حذراً... لكي لا نتمادى فنصل إلى غضب الله

وأملاً... لكي لا نيأس من رحمة الله

وعملاً... لكي نُساهم في وصول عباد الله

وعشقاً... لكي نفهم صبر الله

الستَّار

ننظف أبداننا كل يوم... وكذلك ثيابنا

نغسل أسناننا

ولا نأكل من ملعقة سقطت على الأرض

بل وحتى ننظف أحذيتنا

لكي نبعد عنّا الأوساخ والجراثيم

وقد يكون ذلك الظاهر... هو جلُّ ما نركز عليه

ولكن...

تحت غلاف الجسد... هناك عالم مختلف

فبداخل كل منا جوانب نظيفة... نودّ أن يتعرف عليها الآخرون

وجوانب ملوثة... لا نريد لأحد أن يراها

ولا حتى أنفسنا

تعشعش فيها شياطين وغيلان

ذئاب وأسود وضباع... نائمة أو خاملة

وربما تجول بحرية

بعضها ظاهر للعيان... يلحظه كل من يرانا

وبعضه من يعرفنا

وبعضه لا يلمحه إلا ذو بصيرة

وبعضه مدفون تحت رماد قديم... لا نراه حتى نحن

لأنَّنا نخاف منه... ونعمل على تغطيته

وليس لدينا الشجاعة لمواجهته

ومهما تكن... فهي تظهر في أفكارنا

خواطرنا... آمالنا أو مخاوفنا

حبّنا أو كرهنا

ولا نريد لأقرب الناس إلينا أن يعرفها

لأنه قد لا يرانا كما نحن... ولا يغفر زلتنا

ويسئ تفسير ما لا يفهم

ويُؤثم نفسه بسوء الظن

ولا يستطيع بعدها أن يرى جانباً مشرقاً فينا

فالستّار قد سَتَر ما بنا عن عباده

فلو استطاع الناس أن ينظروا إلى كل ما بداخلنا

فحتماً سيبعدون عنّا

وقد لا يودّ أن يقف على أبواب قلوبنا...

حتى ذلك الغريب المطرود الذي ليس له مأّوى

فلنستر نحن أيضا على عباد الله

ونحذر من أن نهتك ستر أحد... ولو بدواخلنا

كأن نسترسل في التفكير بمساوئ شخص

والسماح لخيالنا بأن يكمّل ما لا نعلم

لنصنع قصة قبيحة بطلها الآخر

نجترها مع أنفسنا... ونشاركها مع آخرين

أو أن نهتك ستراً

حين نأكل لحماً نيئاً... بغيبة أو نميمة

فنؤذي... ونَتَقَزَّم

ونشوِّه الإنسان بداخلنا

فليس لأجل هذا خُلقنا

بل للعلو والرقي والكمال

فلنتذكر...

أنَّ الله غيور على عباده

وليس لنا أن نأمن غضبه حين نقوم بهتك ستر عبده

مهما استصغرنا ذلك الشخص أو استحقرناه

فنحن لا نعرف من هو مع الله

فهو علَّام الغيوب

ستّار العيوب... غفّار الذنوب